

أحمد شوقي

شاعر الوطنية الأكبر

١٨٧٠ - ١٩٣٢



بلغ الشعر الوطني ذروته على لسان شوقي وحافظ . فلقد حملا لواء النهضة الشعرية في العصر الحديث ، وتغنيا بالوطنية ، وكان للحوادث الكبرى التي وقعت في مصر والشرق صداها في شعرهما ، وكلاهما كان له أثره وفضله في تغذية الحركة الوطنية بعيون الشعر الوطني . سطع نجمهما في عصر واحد ، وغردا في جيل واحد ، وانتقلا إلى جوار ربهما في عام واحد (١٩٣٢) ، ولم تمض على وفاة حافظ ثلاثة أشهر حتى لحق به شوقي في الرفيق الأعلى .

سمى شوقي أمير الشعراء ، ولقب الأمير لم يعد يتفق والروح الديمقراطية ، ولم تعد الإمارة تضفي على صاحبها منزلة محترمة ، هذا إلى أن شوقي أكبر من أن يمجّد بهذا اللقب ، فهل نسميه (سيد الشعراء) ؟ إن كلمة السيادة لغير الأمة لم تعد أيضا تتفق والأوضاع الديمقراطية ، فهل نسميه (زعيم الشعراء) ؟ إنه ولا ريب أقدر شعراء عصره ، ولم يكن ينازعه في زعامة الشعر أحد من أئداده ومعاصريه ، فلقد عقدوا له لواء الزعامة وبايعوه عليها في المهرجان الذي أقيم له بمصر سنة ١٩٢٧ وجمع أقطاب الشعراء من العالم العربي وخاطبه فيه صنوده حافظ بقوله :
أمير القوافي قد أتيت مبایعا وهذى وفود الشعر قد بايعت معي

على أن لقب (زعيم الشعراء) لا يكفي للتعريف به والتنويه بمكانته ، وخير لقب له أن يسمى (شاعر العربية الأكبر) وأن نسميه في هذا الكتاب (شاعر الوطنية الأكبر) ولد أحمد شوقي في ١٦ أكتوبر سنة ١٨٧٠^(١) وتعلم في المدارس النظامية ، ودخل

(١) عن التاريخ الثابت في شهادة الليسانس التي نالها الفقيه من كلية الحقوق بباريس .

مدرسة الإدارة (الحقوق) ، في أوائل عهد الاحتلال ، وفي سنة ١٨٨٧ سافر إلى فرنسا لدراسة الحقوق والأدب ، وأتم دراسته سنة ١٨٩٣ .

أدرك شوقي الاحتلال الإنجليزي وهو شاب مهذب مثقف ، وعرف كيف عصف الاحتلال باستقلال البلاد . وإذا كانت عبقريته الشعرية قد خلقت وولدت معه ولازمته منذ صباه ، فقد اقترنت بشعوره الوطني الذي تولد في نفسه بالفطرة ، وزاده توهجا ورسوخا رؤيته الاحتلال الأجنبي يحتم على صدر البلاد ، فامتزجت شاعريته بوطنيته ، وكان لمصر وآلامها صدى بعيد وأثر عميق في شعره . وظل حبه للوطن يوجهه في قصائده ويلهمه التعبير له والحمو عليه .

التحق منذ عودته إلى مصر بديوان المعية الخديوية ، وعلت مكانته لدى الخديو عباس الثاني حتى سمي (شاعر الأمير) ، لكن روحه الوطنية لم تتأثر كثيرا من صلته بالقصر ، هذا إلى أن الخديو عباس كان في أول عهده بالعرش يناوئ الاحتلال ، والاحتلال يناوئه ، حتى إذا جنح لمهادنة الاستعمار ، لم يكن لهذا التحول أثر كبير في شعر شوقي ، اللهم إلا هداة وقتية في الحرب المشوبة بين الأمة والاحتلال ، على أن تأصل روح الوطنية في نفسه جعله لا يجارى الخديو عباس في انصرافه عن الحركة الوطنية ، ثم في تنكركه لها ، فبقى شعره ينهل من منبع الوطنية الصافي .

وانفصل عن منصبه في القصر بعد خلع الخديو عباس عن العرش في ديسمبر سنة ١٩١٤ وتحرك من المنصب الحكومي ، فزادته الحرية قوة وإنتاجا ، وتحليقا في سماء الشعر والفن والخيال ، واستهدف لاضطهاد السلطة العسكرية البريطانية ، إذ قررت نفيه وتركت له اختيار البلد الذي ينفي إليه ، فاختار أسبانيا (الأندلس) ، وبقي على عهده للوطن ، ثم عاد من منفاه في فبراير سنة ١٩٢٠ ، والبلاد في غليان الثورة ، فاستقبلت مصر شاعرها الملهم استقبالا حافلا رائعا .

ويتناثر شعر شوقي بقوة البيان ، وروعة الموسيقى الشعرية ، وسعة الأفق ، والتعمق في استيعاب الحوادث التاريخية ، قديمها وحديثها ، ولقد جرى فحول الشعراء المتقدمين ، وبزهم في كثير من قصائده ، وجدد بعض التجديد في الشعر العربي بما اقتبس من شعراء الغرب ، وعن الثقافة الأوروبية ، وسار في التجديد شوطا بعيدا وخاصة بعد عودته من المنفى ،

إذ وضع عدة مسرحيات شعرية بلغت مبلغا عظيما من الفن والموسيقى والجمال ، كمصرع
كليوباترة ، ومجنون ليلي ، وعنترة ، وغيرها ، وظل ينتج ويشدو ويبدع ، إلى أن توفى في
١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ .

الوطنية في شعر شوقي

في قصائد شوقي يسطع نور الوطنية ، ويتأجج لهيبها ، وهو أغزر الشعراء مادة وأوسعهم
إنتاجا في هذه الناحية ، ولقد ظل يستلهم روح الوطنية طول حياته ، شابا وكهلا وشيخا ،
بل إن شعره الوطني في شيخوخته كان أقوى منه في شبابه ، وقد يكون مرجع ذلك إلى
تجرده من الاتصال بالقصر بعد خلع الخديو عباس حلمي ، كما أسلفنا ، ثم إلى نفيه من مصر
في أوائل الحرب العالمية الأولى ، فأثار البعد عن الوطن شاعريته ، وجاد بأبدع قصائده
في الحنين إلى مصر وحبها والهيام بها إلى درجة التقديس ، ومرجع ذلك أيضا إلى تأصل
عبقريته الشعرية في نفسه ، فلم تضعفها السن ، ولم يبل منها الزمن ، وظلت قوية تتدفق
حيوية ونشاطا .

والوطنية في شعر شوقي هي فيض الفطرة والإلهام ، وليست من صنع الظروف أو
التكلف ، ولذلك جاءت قوية جارفة ، عميقة رائعة .

فتأمل في أول قصيدة له في ديوانه وهي التي قالها في المؤتمر الشرقي الدولي المنعقد بمدينة
جنيف عام ١٨٩٤ ومطلعها :

هَمَّتِ الْفَلَكَ وَاحْتَوَاهَا الْمَاءُ وَحَدَاهَا بَيْنَ ثِقَلِ الرَّجَاءِ
تَجِدُهَا آيَةً فِي شَعْرِ الْمَلَا حِمٍّ أَوْ الشَّعْرِ التَّارِيخِي ، وَتَحْسُ وَأَنْتِ تَقْرُؤُهَا أَنَّهَا قَبَسٌ مِنْ نُورِ
الْوَطَنِيَّةِ ، فَهِيَ سَجَلُ نَاطِقٍ (لِكِبَارِ الْحَوَادِثِ فِي وَادِي النَّيْلِ) ، وَقَدْ بَلَغَ عِدْدُ آيَاتِهَا ثَلَاثِمِائَةً
بَيْتَ إِلَّا قَلِيلًا (تَسْعِينَ وَمِائَتَيْ بَيْتٍ) ، عَرَضَ فِيهَا عَرْضًا أَخَاذًا بَدِيعًا تَارِيخَ مِصْرٍ مِنْ أَقْدَمِ
العُصُورِ إِلَى عَامِ نَظْمِهَا ، أَشَادَ بَعْظَمَتَهَا وَجَدَّ مَفَاخِرَهَا ، وَحَنَى عَلَيْهَا فِي كِبَوَاتِهَا ، وَاسْتَنْزَلَ
السَّخَطَ عَلَى كُلِّ مَنْ اعْتَدَى عَلَيْهَا .

فانظر إلى قوله عن عظمة مصر :

قُلْ لِبَنِي بَنِي فَشَادَ فَعَالِي لَمْ يَجْزُ مِصْرَ فِي الزَّمَانِ بِنَاهِ

ليس في الممكنات أن تُنقل الأَجْبال^(١) شَيْئاً وأن تُنقل السماء

ولما انتهى في سرد الحوادث إلى الحملة الفرنسية سجل إخفاقها وارتدادها عن مصر ، قال :

وأتى النسر^(٢) ينهب الأرض نهياً حوله قومه النصور طمأء
يشتهى النيل أن يشيد عليه دولة عرضها الثرى والسماء
حلّت رومة بها في الليالي ورآها القياصر الأقوياء
فأتت مصر رسلهم تتوالى وترامت سودانها العلماء
ولو استشهد الفرنسيين روما لأنتههم من رومة الأنبياء
علمت كل دولة قد تولّت أناساً شتى وأتت الوباء
قاهر العصر والممالك نابليون ولت قواده الكبراء
جاء طيشاً وراح طيشاً ومن قبل أطاشت أناسها العليا

وانظر كيف يصور في البيتين الآتين سكوت الأهرام وهي تواجه نابليون بأنه سكوت

السخرية والاستهزاء وكأنها تنبأ له بالهزيمة في ختام معاركه ، قال :

سكت عنه يوم عيّرها الأهرام لكن سكوتها استهزاء
فهي توحى إليه أن تلك (واطر لو) فأين الجيوش أين اللواء ؟
وتأمل كيف يعبر عن قناة السويس بأنها نكبة على مصر قال :
جمع^(٣) الزاخرين كرها فلا كما نا ولا كان ذلك الالتقاء
أحمر عند أبيض للبرابا حصّة القطر منهما سوداء

والقصيدة كلها على هذا الغرار في الإجادة والإبداع ، ولقد نظمها وهو في الرابعة

والعشرين ، وكأنما رسم فيها منهجه في الشعر ، فهو يقتبس من عبقرية الشعرية ، ومن
روحه الوطنية معا ، وقد لازمه هذا الامتزاج في شتى قصائده .

(٢) يقصد نابليون .

(١) الأَجْبال : جمع جبل .

(٣) الإشارة هنا إلى سعيد الذي منح دلبس امتياز القناة ، ويريد بالزاخرين البحر الأبيض المتوسط

والبحر الأحمر .

شوقي ومصطفى كامل

سارت نهضة الشعر في مصر إلى جانب النهضة الوطنية التي هبت لمقاومة الاحتلال ، ومن هنا جاءت صلة الزعيم مصطفى كامل بشعراء عصره ، وكانت دعوته الوطنية تلقى صدى وتأيدا في قصائدهم الغرّ ، بحيث يمكن القول بأن الشعر لم يتألق في سماء مجده مثلما تألق في عهد مصطفى كامل ومحمد فريد .

وقد ظهر التجاوب بين دعوة مصطفى كامل وشعر شوقي ، وزاد في هذا التجاوب أن شوقي كان صديقا حميما لمصطفى ، وكلاهما معجب بصاحبه أيما إعجاب ، ولا غرو فهما صنوان ، وفرسا رهان ، هذا في ميدان الوطنية والجهاد ، وذلك في دولة الشعر والبيان ، وكان شوقي يعتز بصداقته لمصطفى ومشاركته إياه في تعهده الروح الوطنية وغرسها في نفوس الجيل ؛ وإلى ذلك يشير في قصيدته عن ذكرى مصطفى سنة ١٩٢٥ إذ يقول فيها مخاطبا الفقيد :

أَتَذْكُرُ قَبْلَ هَذَا الْجِيلِ جِيلا سهرنا عن معلمهم وناما ؟
مِهَارَ الْحَقِّ بَغَضْنَا إِلَيْهِمْ شَكِيمَ الْقَيْصَرِيَّةِ وَاللَّجَامَا^(١)
(لَوَاؤُكَ) كَانَ يَسْقِيهِمْ بِجَامٍ وَكَانَ الشَّعْرُ بَيْنَ يَدَيَّ جَامَا
مِنَ الْوَطَنِيَّةِ اسْتَبَقُوا رَحِيقًا فَضَضْنَا عَنْ مُعْتَقَتِهَا الْخَتَامَا

وكان مصطفى يصف شوقي بأنه « الغدير الصافي في القاف الغاب ، يسقي الأرض ولا يبصره الناظرون » ؛ وكان يخصص لقصائده أسمى مكان في (اللواء) ؛ وفي ذلك يقول شوقي في مراثيه الخالدة :

قَدْ كُنْتَ تَهْتَفُ فِي الْوَرَى بِقَصَائِدِي وَتَجَلَّ فَوْقَ النَّيِّرِينَ مَكَانِي
وَزَارَهُ وَهُوَ عَلَى فِرَاشِ مَرْضَاهُ الْآخِرِ ، فَطَلَبَ إِلَيْهِ مُصْطَفَى أَنْ يَرِثِيهِ إِذَا أَحْسَ بَدَنُو أَجَلَهُ ؛
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَوْقِي :

وَجَعَلْتَ تَسْأَلُنِي الرَّثَاءَ فَهَا كِهْ مِنْ أَدْمَعِي وَسِرَائِرِي وَجَنَائِي
وَيَبْدُو الْإِنْجَامَ بَيْنَ دَعْوَةِ مُصْطَفَى كَامِلٍ وَشَعْرِ شَوْقِي فِي كَثِيرٍ مِنْ قَصَائِدِهِ .

(١) مِهَار : جمع مِهْر ، والمراد بالمهارة هنا الشباب ، والمراد بشكيم القيصريّة ولجامها : بطش الاحتلال وجبروته .

قصيدة شوقي في وداع اللورد كرومر

فمن ذلك قصيدته المشهورة في وداع اللورد كرومر سنة ١٩٠٧ حين اضطر إلى الاستقالة على أثر حادثة دنشواى ، ففي أبياتها تتجلى الروح الوطنية والنقمة على الاحتلال ، قال :

أيامكم أم عهد إسماعيل
أم حاكم في أرض مصر بأمره
يا مالكا رق الرقاب بيأسه
لما رحلت عن البلاد تشهدت
أوسعتنا يوم الوداع إهانة
إلى أن قال :

أنذرتنا رقاً يدوم وذلة
أحسبت أن الله دونك قدرة
الله يحكم في الملوك ولم تكن
فرعون قبلك كان أعظم سطوة
تبقى وحالا لا ترى تحويلا
لا يملك التغيير والتبديلا ؟
دول تنازعه القوى لتدولا
وأعز بين العالمين قبيلا

اليوم أخلفت الوعود حكومة
دخلت على حكم الوداد وشرعه
هدمت معالمها وهدت ركنها
وقال :

قد مدَّ إسماعيل قبلك للورى
إن قيس في جود وفي سرف إلى
أو كان قد صرع (الفتش) مرة
كرلا تذ الكرباج في أيامه
ظلَّ الحضارة في البلاد ظليلا
ما تنفقون اليوم عدَّ بخيلا
فلكم صرعت بدنشواى قتيلا
من بعد ما أنبت فيه ذيولا

(١) يشير إلى خطبة اللورد كرومر في الحفلة التي أقامها صنائع الاحتلال بدار الأوبرا تكريماً له وأهان فيها المصريين .

قصيدته في ذكرى دنشواي

وقصيدته سنة ١٩٠٧ أيضاً عن (ذكرى دنشواي) ، بعد مرور عام على حادثتها ،
في سبيل طلب العفو عن سجنائها ، وفيها وصف مؤثر لهذه المأساة .
قال :

يا دنشوايَ على رُبَّكِ سلامٌ ذهبتِ بأُنْسِ رُبُوعِكَ الأيامُ
شهداءَ حُكْمِكَ^(١) في البلادِ تفرقوا هيهاتَ للشملِ الشتيتِ نظامُ
مرّت عليهم في الآحود أهلةً ومضى عليهم في القيودِ العامُ
كيف الأرامِلُ فيكِ بعد رجائها وبأى حالٍ أصبحَ الأيتامُ ؟
عشرونَ بيتاً أقفرتُ وانتابها بعد البشاشةِ وحشةٌ وظلامُ
ياليتَ شعري في البروجِ حائمٌ أم في البروجِ منيةٌ ورحامُ ؟
(نيرون) لو أدركتَ عهدَ (كرومر) لعرفتَ كيفَ تنفذُ الأحكامُ !

نوحى حائمٌ دنشوايَ وروّعى شعباً بوادي النيلِ ليس ينامُ
إن نامتِ الأحياءُ حالتَ بينه سَحَرًا وبين فراشه الأحلامُ
متوجعٌ يتمثلُ اليومَ الذي ضجتُ لشدةِ هوله الأقيامُ
السوطُ يعملُ والمشائقُ أربعٌ متوحداتٌ والجنودُ قيامُ
والمستشارُ^(٢) إلى الفظائعِ ناظرٌ تدمى جلودُ حوله وعظامُ
في كلِّ ناحيةٍ وكلِّ محلةٍ جزعاً من الملاءِ الأسيفِ زحامُ
وعلى وجوهِ التاكليينِ كآبةٌ وعلى وجوهِ التاكلياتِ رغامُ

رثاؤه لمصطفى كامل

ولما توفي مصطفى كامل سنة ١٩٠٨ رثاه شوقي بقصيدته الخالدة التي تعدُّ أكبرَ مرثاةٍ
في تاريخ الأدب العربي ، ترجم فيها عن شعوره بالحزن والألم بآياتٍ بيناتٍ تجلّت فيها حكمة

(١) أي حكم المحكمة المختصة في قضية دنشواي .

(٢) بريد الكبتن متشل مستشار وزارة الداخلية وكان يشرف على تنفيذ الحكم .

الشعر وقوة الوطنية وروعة البيان ، وقد نشرت يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٠٨ عقب وفاة الزعيم بثلاثة عشر يوماً ، فأثرت في النفوس تأثيراً عميقاً . وجددت أحزان الأمة ، وحفظناها وحفظها الشباب وقتئذ عن ظهير قلب ، لأنها عبرت عن شعورنا جميعاً في الرزء القادح ، ننشرها كاملة لأنها قطعة من الشعر الوطني الخالد . قال في مطلعها :

المشرقان عليك ينتحبان يا خادِمَ الإسلام أجر مجاهد
قاصيهم ما في مآثم والداني في الله من خلد ومن رضوان
لما نعت إلى الحجاز مشى الأسى في الزائرين ورُوع الحرمان
السكة الكبرى^(١) حيال رباها منكوسة الأعلام والقضبان
لم تألها عند الشدائد خدمة في الله والمختار والسلطان
يا ليت مكة والمدينة فازتا في المحفلين بصوتك الزنان
ليرى الأواخر يومَ ذاك ويسمعوا ماغاب من قس ومن سحبان^(٢)
جار التراب وأنت أكرم راحل ماذا لقيت من الوجود الفاني ؟
وقال عن مرضه الذي أودى بحياته :

أبكي صباك ولا أعاتب من جنى هذا عليه كرامة للجاني^(٣)
يتساءلون أبا لسلال قضيت أم بالقلب أم هل مت بالسرطان
الله يشهد أن موتك بالحجا والجهد والإقدام والعرفان
وقال يشيد بأخلاق الفقيد :

إن كان للأخلاق ركن قائم في هذه الدنيا فأنت الباني
بالله فتش عن فؤادك في الثرى هل فيه آمال وفيه أمان
وجدانك الحي المقيم على المدى ولربّ حيّ ميت الوجدان
وقال في فلسفة الحياة :

الناسُ جارى في الحياة لغاية ومضللٌ يجري لغير عنان
والخلدُ في الدنيا وليس بهيّن عليا المراتب لم تتخّ لجبان

(١) يريد سكة حديد الحجاز (٢) قس وسحبان خطيبان من أبلغ خطباء العرب .
(٣) الجاني إشارة إلى مصطفى كامل ، أى أنه ضحى بحياته وشبابه في سبيل مصر .

فلو أن رسلَ الله قد جبنوا لما	ماتوا على دين ولا إيمان
المجد والشرف الرفيع صحيفة	جُعلت لها الأخلاق كالعنوان
وأحبُّ من طول الحياة بذلة	قَصْرٌ يريك تقاصرَ الأقران
دقاتُ قلب المرء قائلةٌ له	إن الحياة دقائق وثوان
فأرفع لنفسك بعد موتك ذكرها	فالذكر للإنسان عمرٌ ثانی
للمرء في الدنيا وجم شؤونها	ما شاء من ربح ومن خسران
فهي القضاء لرأغب متطلع	وهي المضيق لمؤثر السلوان

الناس غادٍ في الشقاوة راحمٌ يشقى له الرحاء وهو الهاني
ومنعمٌ لم يلق إلا لذة في طيها شجنٌ من الأشجان
فاصبر على نَعَمِ الحياة وبؤسها نعمى الحياة وبؤسها سيان
بوقال مخاطبا الزعيم :

يا طاهرَ الغدوات والروحات والخطرات والإسرار والإعلان
هل قام قبلك في المدائن فاتح
يدعو إلى العلم الشريف وعنده
أن العلوم دعائم العمران
وقال في وصف الجنادة :

لَفَّوكُ في عَلمِ البلاد منكسًا	جَزَعُ الهلالِ على فتى الفتیان
ما احمرَّ من خجل ولا من ريبة	لكنما يبكي بدمع قاني ^(١)
يُرْجُونَ نعشك في السناء وفي السنا	فكأنما في نعشك القمران
وكانه نعش (الحسين) «بكر بلا»	يختال بين بكى وبين حنان
في ذمة الله الكريم وبره	ما ضم من عرف ومن إحسان
ومشى جلال الموت وهو حقيقة	وجلالك المصدوق يلتقيان

(١) قاني : أحمر .

شَقَّتْ لِنَظَرِكَ الْجُيُوبَ عَقَائِلَ
وَإِلْخُلُقَ حَوْلِكَ خَاشِعُونَ كَعَهْدِهِمْ
يَتَسَاءَلُونَ بَأَى قَلْبٍ تَرْتَقَى
فَلَوْ أَنَّ أَوْطَانًا تُصَوِّرُ هَيْكَلًا
أَوْ كَانَ يُحْمَلُ فِي الْجَوَارِحِ مِيتَ
أَوْ صِيعَ مِنْ غُرِّ الْفَضَائِلِ وَالْعُلَى
أَوْ كَانَ لِلذِّكْرِ الْحَكِيمِ بَقِيَّةُ
وَقَالَ يَصِفُ الْفَقِيدَ فِي مَرَضِهِ الْأَخِيرِ :

وَلَقَدْ نَظَرْتُكَ وَالرَّدَى بِكَ مُحْدَقٍ
يَبْغِي وَيَطْغَى وَالطَّيِّبَ مُضِلِّ
وَتَوَاطَرُ الْعُودُ عَنْكَ أَمَالُهَا
تُمْلَى وَتَكْتَبُ وَالْمُشَاغِلُ جَمَّةُ
فَهَشَّشْتَ لِي حَتَّى كَأَنَّكَ عَائِدِي
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَمُوتُ آسَادُ الشَّرَى
وَوَجَدْتُ فِي ذَاكَ الْخِيَالَ عَزَائِمًا
وَالدَّاءُ مَلَأَ مَعَالِمَ الْجَمَانِ
قَنِطُ وَسَاعَاتِ الرِّحِيلِ دَوَانِي
دَمْعٌ تَعَالَجُ كَتَمَهُ وَتَعَانِي
وَيَدَاكَ فِي الْقَرْطَاسِ تَرْتَجِفَانِ
وَأَنَا الَّذِي هَدَّ السَّقَامُ كِيَانِي
وَعَرَفْتُ كَيْفَ مِصَارِعِ الشُّجْعَانِ
مَا لِلْمُسُونِ بِدَكَّهِنِ يَدَانِ

وَجَعَلْتَ تَسْأَلَنِي الرَّثَاءَ فَهَا كَهْ
لَوْلَا مِغَالِبَةُ الشُّجُونِ لِحَاطِرِي
وَأَنَا الَّذِي أَرْتِي الشَّمُوسَ إِذَا هَوَتْ
مِنْ أَدْمَعِي وَسِرَائِرِي وَجَنَانِي
لَنَظُمْتُ فِيكَ يَتِيمَةَ الْأَزْمَانِ
فَتَعُودُ سِيرَتَهَا مِنَ الدُّورَانِ

قَدْ كُنْتُ تَهْتَفُ فِي الْوَرَى بِقِصَائِدِي
مَاذَا دَهَانِي يَوْمَ بِنْتِ فَتْنِي
هَوْنٌ عَلَيْكَ فَلَا شِمَاتٍ بِمِيتِ
مِنْ لِلْحَسُودِ بِمِيتَةٍ بُلْغَتِهَا
وَتَجَلُّ فَوْقَ النِّيرَاتِ مَكَانِي
فِيكَ الْقَرِيضُ وَخَاتِي إِمْكَانِي
إِنَّ الْمُنِيَّةَ غَايَةَ الْإِنْسَانِ
عَزَّتْ عَلَى كِبَرِي أَنْوَشِرَوَانِ

عوفيت من حَرْب الحياة وحَرْبِها فهل استرحت أم استراح الشاني
وقال في ختام القصيدة يذكر فضل مصطفى على مصر :

يا صَبَّ مصر ويا شهيدَ غرامها	هذا ثرى مصرِ قم بأمان
إخلع على مصر شبابك غالياً	والبس شباب الحور والولدان
فلعل مصرًا من شبابك ترتدى	مجداً تنيه به على البلدان
فلو ان بالهرمين من عزَماته	بعض المضاء تحرك الهرمان
عَلِمَت شبان المدائن والقرى	كيف الحياة تكون في الشبان
مصر الأسيفة ريفها وصعيدها	قبرٌ أبرُّ على عِظامِك حانى
أقسمتُ أنك في التراب طهارةٌ	مَلَكٌ يهاب سؤاله المَلَكُان

شهيد الحق

وكان شوقى لا يفتأ يذكر مصطفى بعد وفاته
فمن ذلك قصيدته التي نظمها سنة ١٩٢٥ لمناسبة ذكره بعنوان (شهيد الحق) ، تناول
فيها ما أصاب البلاد من انقسام وتشاحن وتناحر ، ثم انتقل من ذلك إلى ذكرى مصطفى
كامل ، فوفاه حقه من التمجيد ، قال في مطلعها :

إلامَ الخلفُ بينكمو إلأما ؟	وهذه الضجّة الكبرى علاماً ؟
وفيمَ يكيد بعضكم لبعضٍ	وتُبِدون العداوة والخصاما ؟
وأين الفوز ؟ لا مصر استقرت	على حالٍ ولا السودان داما

إلى أن قال :

وَلِينا الأمرَ حزباً بعد حزب	فلم نَكُ مصلحين ولا كراما
جعلنا الحكم توليةً وعزلاً	ولم نَعُدْ الجزاء والانتقاما
وسُئنا الأمر حين خلا إلينا	بأهواء النفوس فما استقاما

وقال ذاكراً مناقب الفقيد :

شهيد الحق قم تره يتما	بأرض ضيّعت فيها اليتامى
-----------------------	-------------------------

أقام على الشفاه بها غرباً ومرة على القنوب فما أقاما^(١)
 سقيمت فلم تلبث نفسٌ بخير كأن بمهجة الوطن السقاما
 ولم أر مثل نعشك إذ تهادى فغطى الأرض وانتظم الأناما
 تحمّل همّة وأقلّ ديناً وضمّ مروةً وحوى زماما
 وما أنساك في العشرين لما طلعت حياها قرأً تماماً
 يُشارُ إليك في النادى وتُرمى بعين من أحب ومن تعامى
 إذا جئت المنابر كنت (قساً) إذا هوى عكاظ علا السناما
 وأنت الذُّ للحق اهتزازاً وألطف حين تنطقه ابتساما
 وتحمل من أديم الحق وجهاً صراحاً ليس يتخذ اللثاما

أتذكرُ قبل هذا الجيل جيلاً سهرنا عن معلّمهم وناما ؟
 مَهَارُ الحق بَغَضْنَا إليهم شكيمَ القيصرية واللجاما
 لَوَاؤُكَ كان يسقيهم بجام وكان الشعر بين يديّ جاما
 من الوطنية استبقوا رحيقاً فضضنا عن معتقها الختاما
 غرسنا گرمها فزكا أصولا بكل قرارة وزكا مُداما
 جمعهمو على نبرات صوت كنفخ الصور حركت الرجاما^(٢)
 لك الخطبُ التي غص الأعداى بسورتها وساعت للندامى^(٣)
 فكانت في مزارتها زثيراً وكانت في حلاوتها بغاما^(٤)

بك الوطنية اعتدلت وكانت حديثاً من خرافة أو مناما
 بنيت قضية الأوطان منها وصيرت (الجلاء) لها دعاما

(١) أى أن الحق تنطق به الأفواه ولا يستقر في القلوب

(٢) الرجام : القبور .

(٣) السورة : الحدة والشدّة . والندامى جمع نديم والمراد بهم الأنصار والأصدقاء .

(٤) البغام : صوت الطي .

وله قصيدة في ذكره سنة ١٩٢٦ قال :

لم يَمُتْ من له أُنْزَ	وحياة من السَّيرِ
أدعه غائباً وإن	بعدت غاية السفرِ
آيب الفضل كلما	آبت الشمس والقمر ^(١)
رُبَّ نورٍ مُتَمِّم	قد أتانا من الحُفَرِ
إنما المَيِّت من مشى	مَيِّتَ الحُبْرِ والخَبْرِ
من إذا عاش لم يُفِد	وإذا مات لم يضر
ليس في الجاه والغنى	منه ظلٌّ ولا ثمر
قَبَحَ العِزُّ في القص	ور إذا ذَلَّت القُصُر

أَعُوزَ الحقِّ ذائِدٌ	وإلى (مصطفى) افتقر
وتمنّت حياضه	هَبَّةَ الصَّارِمِ الذَّكِرِ
الذى يُنفذ المُلْدَى	والذى يركب الخطر
أيها القوم عَظَّمُوا	واضع الأَسِّ والحجر
أذكروا الخطبة التي	هي من آية الكبر
لم ير الناس قبلها	منبراً تحت محتضر
استُ أنسى لواءه	وهو يمشى إلى الظفر
حَشَرَ الناسَ تحته	زُمرّاً إثرهُـا زمر
وترى الحقَّ حوله	لا ترى البيضَ والسُّمر ^(٢)
كلما راح أو غدا	نفخ الروح في الصور

يا أخا النَّفْسِ في الصبا لذةُ الروح في الصَّغَرِ

(١) أى يعود للفقيد فضل وتجدد ذكره كلما آبت الشمس وعاد القمر .

(٢) البيض : السيوف والسمر الرماح .

وخليلاً ذخرته لم يقوّم بمدّخر
 حال بيني وبينه في فجاءاته القمّدر
 كيف أجزي مودّة لم يشب صفوها كدر
 غير دمع أقوله قلّ في الشأن أو كثر
 وفؤاد معلّل بالخيالات والذكر
 لم ينم عنك ساعة في الأحاديث والسمر
 قم تر القوم كتلة مثل مأمومة الصخر
 جدّوا ألفه الهوى والإخاء الذي شطر
 ليس للخلف بينهم أو لأسبابه أثر
 ألّقتهم روائح غاديات من الغدير
 وصحوا من منوّم وأفاقوا من الخدر^(١)
 أقبلوا نحو حقهم ما لهم غيره وطر
 جعلوه خلية شرعوا دونها الإبر
 وتواصّوا بخطّة وتداّعوا لمؤتمر
 وقصارى أولى النهى يتلاقون في الفكر
 آذنونا بموقف من جلال ومن خطر
 نسمع الليث عنده دون آجامه زأر
 قل لهم في نديهم^(٢) مصر بالباب تنتظر

شوقي وفريد

لم تكن صلة شوقي بفريد كصلته بمصطفى ، وعند ما تولى فريد زعامة الحركة الوطنية
 سنة ١٩٠٨ ، بعد وفاة الزعيم الأول ، كانت سياسة (الوفاق) بين الخديوي عباس الثاني
 والمعتمد البريطاني قد ثبتت قواعدها ، وتنكر عباس للحركة الوطنية ، ومع صلة شوقي

بالقصر واشتداد الجفاء بين الخديو وفريد ، فإنه لم يتعرض له بسوء في أى قصيدة له ، وكان هذا منه نعم الوفاء للوطنية .

وبدا حب شوقي للحزب الوطنى وتأييده له من رثائه لعمر بك لطفى أحد أقطاب هذا الحزب ومؤسس التعاون فى مصر ، فقد نظم سنة ١٩١١ فى رثائه قصيدة بديعة قال فى مطلعها :

قِفُوا بِالْقُبُورِ نُسَائِلُ عَمْرٍ متى كانت الأرضُ مَثْوَى القمرِ ؟
وفيهما يقول :

« نِقَابَاتُكَ » الغُرُّ تَبْكِي عَلَيْكَ وَيَبْكِي عَلَيْكَ النَّدَى الْأَغْرُ^(١)
ويبكي التعاونُ من سَنَةِ عَشِيَّةٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ أَمْرِ
ويبكيك (حِزْب) تَحْيَتِهِ شَرِيفُ الْمَرَامِ شَرِيفُ الْوَطَرِ
ويبكي الأولى أَنْتَ عَلَّمْتَهُمْ وَأَنْتَ غَرَسْتَ فَكَانُوا الثَّمَرِ

رثاؤه لفريد

ولما توفى فريد سنة ١٩١٩ رثاه بقصيدة من عيون شعره ، ظهر فيها تقديره للزعيم الشهيد ، قال :

كُلُّ حَيٍّ عَلَى الْمَنِيَّةِ غَادَى تَتَوَالَى الرِّكَابُ وَالْمَوْتُ حَادَى^(٢)
ذَهَبَ الْأَوَّلُونَ قَرْنًا فَقَرْنًا لَمْ يَدُمْ حَاضِرٌ وَلَمْ يَبْقَ بَادَى^(٣)
هَلْ تَرَى مِنْهُمْ وَتَسْمَعُ عَنْهُمْ غَيْرَ بَاقٍ مَآثِرٍ وَأَيَادَى ؟

كُرَّةُ الْأَرْضِ كَمْ رَمَتْ صَوْلَجَانَا وَطَوَّتْ مِنْ مَلَاعِبِ وَجِيَادِ
وَالْغُبَارُ الَّذِى عَلَى صَفْحَتَيْهَا دَوْرَانُ الرِّحَى عَلَى الْأَجْسَادِ
كُلُّ قَبْرِ مِنْ جَانِبِ الْقَفْرِ يَبْدُو عِلْمَ الْحَقِّ أَوْ مَنَارَ الْمَعَادِ

(١) نادى المدارس العليا وكان عمر لطفى رئيسه .

(٢) الحادى هو الذى يغنى للقافلة فتشط فى سيرها .

(٣) الحاضر ساكن الحضر ، والبادى ساكن البادية .

وزمام الركاب من كل فجٍ ومحط الرّحال من كل وادى
تطلع الشمس حيث تطلع نضجاً وتنتجى كمنجل الحصاد
إلى أن قال :

أسألتكم حقيقة الموت ماذا تحتها من ذخيرة وعناد ؟
إن في طيها إمام صفوف وحوارى نية واعتقاد

لو تركتم لها الزمام لجاءت انظروا هل ترون في الجمع (مصر) تاج أحرارها غلاماً وكهلاً
وسدوه التراب نضو سفار واركزوه إلى القيامة رُحماً
وأقرؤوه في الصفائح عصباً وحدها بالشهيد دار الرشاد
حاسراً قد تجلّت بسواد راعها أن تراه في الأصفاد
في سبيل الحقوق نضو سهاد كان للحشد والندى والطراد
لم يدين بالقرار في الأعناد

وقال مشيراً إلى موته في منفاه :

نازح الدار أقصر اليوم بين وكفى الموت ما تخاف وترجو
من دنا أو نأى فإن الناي سير مع العمر حيث شئت تؤوبا
ذلك الحق لا الذى زعموه وجرى لفظه على ألسن النا
يتحلّى به القوي ولكن وانتهت محنة وكفت عوادي
وشفى من أصادق وأعادى غاية القرب أو قصارى البعاد
واقعد العمر لا تؤب من رقاد فى قديم من الحديث مُعاد
س ومعناه فى صدور الصّعاد كتحلّى القتال باسم الجهاد

هل ترى كالتراب أحسن عدلاً وقياما على حقوق العباد
نزل الأقوياء فيه على الضّعفى وحلّ الملوك بالزُّهاد
صفحات نقية كقلوب الرسل مغسولة من الأحقاد

قم إن استطعت من سريرك وانظر - سِرّاً ذلك اللواء في الأجناد
 هل تراهم وأنت موفٍ عليهم غير بُيَّان ألفة واتحاد
 أمة هيئت وقومٌ خَيْرُ الدهر أو شرُّه على استعداد
 مصرُ تبكى عليك في كل خدرٍ وتصوغُ الرثاء في كل ناد
 لو تأملتُها لراعك منها غرّة البرِّ في سواد الحداد
 منتهى ما به البلاد تُعزَّى رجلٌ مات في سيل البلاد
 أمّهاتٌ لا تحمل الثكل إلا للنجيب الجرى في الأولاد
 (كفريد) وأين ثاني فريد أيُّ ثانٍ لواحد الأحاد ؟
 الرئيس الجواد فيما علمنا وبلونا وابن الرئيس الجواد
 أكلت ماله الحقوق وأبلى جسمه عائدٌ من الهم عادي
 لك في ذلك الضنى رقة الرُّوح وخفقُ الفؤاد في العواد
 علّة لم تصل فراشك حتى وطئت في القلوب والأكباد
 صادفت قرحة يلائمها الصبر وتأبى عليه غير الفساد
 وعدّ الدهر أن يكون ضمادا لك فيها فكان شر ضماد
 وإذا الروح لم تنفّس عن الجسم (فقراط^(١)) نافخ في رماد

قصيدته في ذكره

وفي سنة ١٩٢٤ نظم قصيدة في ذكره الخامسة، وهي من أبلغ شعره ومن أروع ما قيل
 في تمجيد فريد ووطنيته وتضحياته، قال :

نجدد ذكرى عهدكم ونعيدُ ونُدنى خيالَ الأملس وهو بعيدُ
 وللناس في الماضي بصائرٌ يهتدى عليها غاؤٌ أو يسير رشيد
 إذا الميث لم يكرُم بأرض ثناؤه تحيّر فيها الحى كيف يسود
 ونحن قضاة الحق نرعى قديمه وإن لم يفتنا في الحقوق جديد

(١) بقراط هو أبو الحنب .

ونعلم أنا في البناء دعائم • وأنتم أسس في البناء وطيّد
فريد ضحايا كثيرًا وإنما مجال الضحايا أنت فيه فريد
فما خلف ما كابدت في الحق غايةً ولا فوق ما قاسيت فيه مزيد
تغربت عشرًا أنت فيهن بئس وأنت بأفاق البلاد شريد
تجوع بلدان وتعرى بغيرها وترزح تحت الداء وهو عتيد
ألا في سبيل الله والحق طارف من المال لم تبخل به وتلبد
وجودك بعد المال بالنفس صابرا إذا جزع الحضور وهو يحود

فلا زلت تمثالا من الحق خالصا على سرّ نبي العلا ونشيد
يعلم نشء الحى كيف هو الحى وكيف يحامى دونه ويذود

حبه وتقديسه للوطن

إن حب شوق الوطن يتمشى في معظم قصائده ، مما تراد في ديوانه ، وقد اقتبسنا طرفا منها ، وله فوق ذلك أبيات بلغ فيها حبه للوطن درجة التقدير والعبادة ، مما يجعلها تسير مسرى الحكم والأمثال ، على تعاقب السنين والأجيال ، وتبعث في نفوس المواطنين روح الإخلاص العميق للوطن والفناء فيه .

كقوله سنة ١٩٢٠ بعد عودته إلى مصر من منفاه :

ويا وطني لقيتُك بعد يأسٍ كأنى قد لقيتُ بك الشبابا
ولو أنى دُعيتُ^(١) لكنت ديني عليه أقابل الحتم المحابا^(٢)
أدير إليك قبل البيت وجهي إذا فُهِتُ الشهادة والمتابا

ففي هذه الأبيات يقدم شوق الوطن على الدين ويدير وجهه إلى الوطن قبل الكعبة عند ما يلقى ربه .

(١) أى دعيت إلى الموت .

(٢) الحتم المحاب هو الموت .

وقوله سنة ١٩٢٤ مخاطباً الشباب :

وَجْهُ الكِنَانَةِ لَيْسَ يُغْضِبُ رَبَّكُمْ أَنْ تَجْعَوْهُ كَوَجْهِهِ مَعْبُوداً
وَلَوْأَ إِلِيهِ فِي الدُّرُوسِ وَجُوهَكُمْ وَإِذَا فَرَعْتُمْ . فَأَعْبُدُوهُ هَجُوداً
إِنَّ الذِي قَسَمَ الْبِلَادَ حَبَاكُمُ بِلْدَاءُ كَأُوطَانِ النُّجُومِ مَجِيداً
قَدْ كَانَ — وَالْدُنْيَا لَحُودٌ كُلُّهَا — لِلْعَبْقَرِيَّةِ وَالْفَنُونِ مَهْمُوداً

وقوله وهو في منفاه :

وطني لو شغلتُ بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

أى أنه لو شغل عن الوطن بحنة الخلد وسكنها ، لبقيت نفسه تهفو إلى الوطن وتنزع إليه
وقوله من قصيدته سنة ١٩٢٦ في نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسي :

وَلِلْأُوطَانِ فِي دَمِ كُلِّ حُرٍّ يَدٌ سَلَفَتْ وَدَيْنٌ مُسْتَحَقُّ
وَلِلْحَرِيَةِ الْحَمْرَاءِ بَابٌ بِكُلِّ يَدٍ مُضَرَّجَةٍ تَدُقُّ

وقوله :

لَا تَلُومَاهَا أَلَيْستَ حُرَّةً وَهَوَى الْأُوطَانِ لِلْأَحْرَارِ دِينَ

وقال سنة ١٩٠٤ :

أَحْبَبْتُ مِصْرَ مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِي وَحُبُّكَ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ نَامٌ
وَبَلَغَ حُبِّي لِمِصْرَ أَنْ جَعَلَهَا كَعْبَةِ أَشْعَارِهِ قَالَ :

وَإِنِّي لَغَرِيْدٌ هَذَا الْبَطَاحُ تَغْذِي جَنَاهَا وَسُلْسَالَهَا
تَرَى مِصْرَ كَعْبَةَ أَشْعَارِهِ وَكُلٌّ مَعْلُوقَةٌ قَالَهَا —

ثورة سنة ١٩١٩

قال من قصيدة له بعنوان (الحرية الحمراء) يمجّد ثورة ١٩١٩ :

يَوْمُ الْبَطُولَةِ لَوْ شَهِدَتْ نَهَارَهُ لَنُظِمْتُ لِلْأَجْيَالِ مَا لَمْ يُنْظَمْ
غُبِنَتْ حَقِيقَتُهُ وَفَاتَ جَمَالُهَا بِأَعْيُنِ الْخِيَالِ الْعَبْقَرِيِّ الْمَلْهَمِ
لَوْلَا عَوَادِي النَّفْيِ أَوْ عَقْبَانُهُ وَالنَّفْيُ حَالٌ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ

لجعت ألوان الحوادث صورة^(١) مثلت فيها صورة المستلم
وحكيت فيها النيل كاظم غيظه وحكيته متغيظاً لم يكظم
دعت البلاد إلى الغار فغامرت وطنية بثقف ومعلم
ثارت على الحامى العتيدوا قسمت بسواه جلّ جلاله لا تحتمى

يوم النضال كستك لون جمالها حُرِّيَّةٌ صَبَّغَتْ أديمك بالدم

تعلقه بالجللاء

ويبدو في شعره مبلغ تعلقه بالجللاء ، وإيمانه به ، وهذا ولا ريب من فيض الوطنية التى يستلهم منها شعره .

قال فى سنة ١٩٢٤ يخاطب الشباب الذين أفرج عنهم بعد الحكم عليهم فى قضية المؤامرة الكبرى :

لَمَّا بَنَى اللهُ الْقَضِيَّةَ^(٢) مِنْهُمْ قَامَتْ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ عُمُوداً
جَادُوا بِأَيَّامِ الشَّبَابِ وَأَوْشَكُوا يَتَجَلَوَزُونَ إِلَى الْحَيَاةِ الْجُوداً
طَلَبُوا (الْجَلَاءَ) عَلَى الْجِهَادِ مَثُوبَةً لَمْ يَطْلُبُوا أَجَرَ الْجِهَادِ زَهِيداً
وَاللَّهِ : مَا دُونَ الْجَلَاءِ وَيَوْمِهِ يَوْمَ تُسَمَّى الْكِنَانَةُ عِيداً
وَجَدَ السَّجِينَ يَدًا تُحْطَمُ قَيْدُهُ مِنْ ذَا يُحْطَمُ لِلْبِلَادِ قِيوداً ؟

وحدة وادى النيل

وقال فى يولييه سنة ١٩٢٤ عن وحدة وادى النيل من قصيدة له فى استنكار حادث الاعتداء على المرحوم سعد زغلول ونجاته من محاولة اغتياله :

وَلَنْ نَرْضَى أَنْ تُقَدَّ الْقَنَاقَةُ وَيُيْتَرَ مِنْ مِصْرٍ سُوْدَانُهَا
فَصَرُّ الرِّيَاضِ وَسُوْدَانُهَا عِيُونُ الرِّيَاضِ وَخَلْجَانُهَا

(١) يشير إلى أنه كان فى منفاه حين شبت الثورة .

(٢) يقصد القضية الوطنية .

وما هو ماء ولكنه وريد الحياة وشريانها
تتم مصر ينابيعها كما تتم العين إنسانها
وأهلوه منذ جرى عذبه عشيرة مصر وجيرانها

مشروع مانر

هو مشروع المعاهدة الذي انتهت إليه مفاوضات سعد — ملنر سنة ١٩٢٠ ويحمل في طياته عناصر الحماية ، وكان ممن عارضوه المرحوم الدكتور عبد الحميد أبو هيف ، فلما توفي سنة ١٩٢٦ رثاه شوقي في قصيدة أشار فيها إلى هذه المعارضة وأيدها ، قال :

بالأمس كانت لابن هيف غَضَبَةٌ للحق نذكرها يداً بيضاء
مشت البلاد إلى رسالة (ملنر) وتحفرت أرضاً لها وسما
فلحت أعرج في زوايا الحق لم أعلم عليه ذمّة عرجاء^(١)
ارتدت العاهات عن أخلاقه ليُسْمَوهن وحلت الأعضاء
لما رأى (التقرير) ينقث سمّه سبق الحواة فأخرج الرقطاء^(٢)
هتك الحماية والرجال وراءها يتلمسون لها الستور رياء

تصريح ٢٨ فبراير

وقال عن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢^(٣) :

ربحت من (التصريح) أن قيودها قد صرن من ذهب وكن حديداً
أو ما ترون على (المنابع)^(٤) عُدَّة لا تنجلي وعلى (الضفاف) عديدا
يا فتية النيل السعيد خذوا المدى واستأنفوا نفس الجهاد مديدا

(١) أصيب المرحوم أبو هيف بحرس بترت فيه ساقه وكان يمشي على ساق صناعية .

(٢) الرقطاء . الحية .

(٣) هو التصريح الذي أعلنته بريطانيا في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ وأقرت فيه بانتهاء الحماية على مصر وبلاعراف باستقلالها واحتفظت فيه بتولى أمور أربعة تعصف بجوهر الاستقلال وهي (١) تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر (٢) الدفاع عن مصر (٣) حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات . (٤) السودان .

(٤) منابع النيل بالسودان . وعدة أي جنودا . والضفاف ضفاف قناة السويس .

يدعو إلى التضحية

ويهاجم الاستعمار

قال يدعو إلى الجد والتضحية :

والمرء ليس بصادقٍ في قوله حتى يؤيد قوله بفعله
والشعب إن رام الحياة كبيرة خاض الغمار دما إلى آمله

ومن قصيدته سنة ١٩٢٦ في نكبة دمشق من الاستعمار الفرنسي :

لحأها الله أنباء توات على سمع الولي بما يشق^(١)
يفصلها إلى الدنيا بريد ويحملها إلى الآفاق برق
وللمستعمرين وإن ألانوا قلوب كالحجارة لا ترق
رماك بطيشه ورمى فرنسا أخو حرب به صلف وحق
إذا ما جاء طلاب حق يقول عصاة خرجوا وشقوا
دم الثوار تعرفه فرنسا وتعلم أنه نور وحق

إلى أن قال :

نصحت ونحن مختلفون داراً ولكن كلنا في الهم شرق
ويجمعنا إذا اختلفت بلاد ويمنعنا بين موت أو حياة
وللاوطان في دم كل حر ومن يسقى ويشرب بالمنايا
ولا يبنى الممالك كالضحايا وفي القتل لأجيال حياة
وللحرية الحمراء باب وكل يد مزرعة يدق
وإذا الأحرار لم يسقوا ويسقوا؟ ولا يدني الحقوق ولا يحق
وفي الأسرى فدى لهم وعتق يدق

(١) الولي أي المحب والصديق .

يشفق على الوطن

من قصيدة له في استقبال عيد الفطر يشفق على مصر ويقول أن لا عيد حتى
تتحق أهدافها .

وطئ أسفتُ عليك في عيد المَلَا وبكيتُ من وَجْدٍ ومن إشفاق
لا عيدَ لي حتى أراكَ بأُمَّةٍ شماء راوية من الأخلاق
ذهب الكرام الجامعون لأمرهم وبقيتُ في خَلَفٍ بغير خلاق^(١)
أَيُّظَلُّ بعضهم لبعض خاذلاً ويقالُ شَعْبٌ في الحضارة راقٍ ؟
وإذا أراد الله إشقاء القُرَى جعلَ الهداةَ بها دُعاةَ شِقَاقٍ

يدعو إلى الأخلاق

إن بيته المشهور عن الأخلاق هو ديوان من الشعر تتجلى فيه الحكمة الأزلية في أن
الأخلاق هي أساس حياة الأمم وسبيلها إلى العظمة والمجد :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا
وقد أكد هذا المعنى الرائع في غير موضع .
قال :

وإذا أصيب القومُ في أخلاقهم فأقيم عليهم مائماً وعويلاً
وقال :

وما السلاحُ لقومٍ كلُّ عُدتهم حتى يكونوا من الأخلاق في أهب
وقال أيضاً :

على الأخلاق خُطُّوا الملكَ وابنوا فليس وراءها للعز رُكنٌ
وقوله :

المجدُ والشرفُ الرفيعُ صبيغةٌ جعلتُ لها الأخلاقُ كالعنوان

(١) الخلاق : التصيب الوافر من الخير .

وقوله :

وَإِذَا مَا أَصَابَ بُنْيَانَ قَوْمٍ وَهِيَ خُلِقَ فَإِنَّ وَهِيَ أُسُّ

وقوله :

كَذَا النَّاسُ بِالْأَخْلَاقِ يَبْقَى صَلَاحُهُمْ وَيَذْهَبُ عَنْهُمْ أَمْرُهُمْ حِينَ تَذْهَبُ

وقوله :

وَلَقَدْ يُقَامُ مِنَ السُّيُوفِ وَلَيْسَ مِنْهُ عَثَرَاتِ أَخْلَاقِ الشُّعُوبِ قِيَامٌ
وَمِنْ قَصِيدَتِهِ (نهج البردة) :

صَلَاحُ أَمْرِكَ لِلْأَخْلَاقِ مَرْجِعُهُ فَقَوْمُ النَّفْسِ بِالْأَخْلَاقِ تَسْتَقِيمُ
وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ

وقوله :

وَكَانَ جَنَابُهُمْ فِيهَا مَهِيَا وَلِلْأَخْلَاقِ أَجْدَرُ أَنْ تَهَابَا
وَقَالَ فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ سَنَةِ ١٩٢٠ :

وَلَيْسَ بِعَاصِرِ بَنِيَانٍ قَوْمٍ إِذَا أَخْلَاقُهُمْ كَانَتْ خَرَابَا
وقوله :

وَلَا الْمَصَائِبُ إِذْ يُرْمَى الرِّجَالُ بِهَا بِقَاتِلَاتٍ إِذَا الْأَخْلَاقُ لَمْ تُصَبِّ

يدعو إلى الوحدة الوطنية

من قصيدة له في رثاء بطرس غالي سنة ١٩١٠ :

الْحَقُّ أَبْلِجٌ كَالصَّبَاحِ لِنَاضِرٍ لَوْ أَنَّ قَوْمًا حَكَّمُوا الْأَحْلَامَا
أَعْهَدَتَنَا وَالْقَبْطُ إِلَّا أُمَّةً لِلْأَرْضِ وَاحِدَةً تَرُومُ مَرَامَا
نُعَلِّي تَعَالِيمَ الْمَسِيحِ لِأَجْلِهِمْ وَيُوقِرُونَ لِأَجْلِنَا الْإِسْلَامَا
الَّذِينَ لِلدِّيَانِ جَلٌّ جَلَالُهُ لَوْ شَاءَ رَبُّكَ وَحَدَّ الْأَقْوَامَا
يَا قَوْمُ بَانَ الرِّشْدُ فَاقْضُوا مَا جَرَى وَخَذُوا الْحَقِيقَةَ وَابْذُوا الْأَوْهَامَا

هذى ربوعكم وتلك ربوعنا متقابلين نعالج الأياما
هذه قبوركم وتلك قبورنا متجاورين جاجاً وعظاما
فبحرمة الموتي وواجب حقهم عيشوا كما يقضى الجوار كراما

وقال من قصيدة أخرى له في هذا المعنى سنة ١٩١٠ :

تعالوا عسى نطوى الجفاء وعهدنا وننبذ أسباب الشقاق نواحيا
ألم تك (مصر) مهذنا ثم لحدنا وبينهما كانت لكل مغانيا
ألم تك من قبل (المسيح بن مريم) و(موسى) و(طه) تعبد النيل جاريا
فهل تساقينا على حبه الهوى وهلا فديناه ضففا وواديا
وما زال منكم أهل ودّ ورحمة وفي المسلمين الخير ما زال باقيا
فلا يئسكم عن ذمة قتل (بطرس) فقدما عرفنا القتل في الناس فاشيا

القوة في الاتحاد

صوت الشعوب من الزئير مجما فإذا تفرق كان بعض نباح

يستحث الشباب على العلم والجهاد

قال مخاطبا الشباب في قصيدة نظمها سنة ١٩٢٤ :

يا شباب الغد وأبنائى القدى لكم أكرّم وأعزّز بالفداء
هل يمد الله لى العيش عسى أن أراكم فى الفريق السعداء
وأرى تاجكم فوق السها وأرى عرشكم فوق ذكاء
من رآكم قال مصر استرجعت غزها فى عهد (خوفو) و(مناء)
أمة للخلد ما تبنى إذا ما بنى الناس جميعا للعفاء
إنما مصر إليكم وبكم وحقوق البر أولى بالقضاء
عصركم حر ومستقبلكم فى يمين الله خير الأمناء

لا تقولوا حطنا الدهر فما	هو إلّا من خيال الشعراء
هل علمت أمة في جهلها	ظهرت في المجد حسناء الرداء
باطن الأمة من ظاهرها	إنما السائل من لون الإناء
فخذوا العلم على أعلامه	واطلبوا الحكمة عند الحكماء
واقروا تاريخكم واحتفظوا	بفصيح جاءكم من فصحاء
أنزل الله على السهم	وحيه في أعصر الوحي الوضاء
واحكموا الدنيا بسلطان فما	خلقت نضرتها للضعفاء
واطلبوا المجد على الأرض فإن	هي ضاقت فاطلبوه في السماء !

يدعو إلى إنكار الذات

وقال مخاطبا الشباب في قصيدة قالها سنة ١٩٢٤ :

قالوا أنتظم للشباب تحية	تبقى على جيد الزمان قصيدا
قلت الشباب أتم عقد مآثر	من أن أزيدهم الثناء عقودا
قبلت جهودهم البلاد وقبلت	تاجا على هاماتهم معقودا
خرجوا فما مدوا حناجرهم ولا	متوا على أوطانهم مجهودا
خفي الأساس عن العيون تواضعا	من بعد ما رفع البناء مشيدا

حكمه وعظاته

تنساب في شعر شوقي الحكم والعظات يخاطب بها مواطنيه ويبصرهم بعبء التاريخ
وعظات الحوادث ، مما تذكر طرفا منه .

جلال الخالدين

قال عن جلال الملوك وأنه إلى زوال ولا يبقى إلّا جلال الخلود :

جلالُ الملك أيامٌ وتمضي ولا يمضي جلال الخالدين

الخلود للعمل الصالح

وقال سنة ١٩٢٣ عن الخلود وأنه للعمل الصالح :

من سرّه أن لا يموتَ فبالعلّى خلدَ الرجال وبالفعالِ النَّابه
ما مات من حاز الثّرى آثاره واستولت الدنيا على آدابه
قل للمدّ بما له وبجابه وبما يحلّ الناسُ من أنسابه
هذا الأديم يصدّ عن حضّاره وينام ملّ الجفن عن غُيابه
إلا فتى يمشى عليه مجدداً ديباجتيه معتررا لخراجه

العدل أساس الملك

وقال في العدل :

والعدل في الدولات أسّ ثابت يُفنى الزمان وينقذ الأجيالا

فلسفة الحياة

وقال من قصيدته في رثاء مصطفى كامل :

دقّتُ قلب المرء قائلة له إن الحياة دقائق وثوان
ومن قوله في ذكرى كارنارفون مكتشف كنوز توت عنخ آمون :
في الموت ما أعيا^(١) وفي أسبابه كل أمرى رهن بطى كتابه
إن نام عنك فكل طبٍ نافع أو لم ينم فالطب من أذنبه
إلى أن قال منوها بفضل كارنارفون في اكتشافاته الأثرية :

أفضى إلى ختم الزمان ففضّه وحبا إلى التاريخ في محرابه
وطوى القرون القهقري حتى آتى فرعون بين طعامة وشرابه
ومن قوله في العظة والاعتبار حين سقطت أدرنة وكانت من أمهات المدن الإسلامية
في مقدونية وغلبيها البلغار سنة ١٩١٢ :

يا أخت أندلس عليك سلامٌ هوت الخلافة عنك والإسلامُ

(١) ما أعيا ، أى ما أعجز عن إدراك حقيقته . ورهن بطى كتابه ، أى باق في الحياة حتى ينتهى أجله .

إلى أن قال يندد بسياسة الترك :

رفعوا على السيفِ البناء فلم يدم ما للبناء على السيوف دوام
أبقى الممالك ما المعارفُ أسسه والعدلُ فيه حائطٌ ودعام
إِن الغرورَ إذا تملكَ أمةً كالزهرِ يُخفى الموتَ وهو زوام

لا حقَّ للضعيف

وقال سنة ١٩٢٣ أثناء انعقاد مؤتمر لوزان مشيراً إلى صلف الإنجليز مع مصر لأنها
لم يكن لها من القوة ما تسترد به حقها :

أتعلم أنهم صلفوا وتاهوا وصدّوا الباب عنا موصديننا ؟
ولو كنا نجرُّ هناك سيفاً وجدنا عندهم عطفاً ولينا
سيقضى (كرز) بالأمر عنا وحاجات (الكنانة) ما قضينا
وقال في هذا المعنى :

يا طَيْرُ والأمثالُ تُضرب لليب الأمثل
دُنْيَاكَ من عاداتها ألا تكون لأعزل

الحكم للشعوب ، لا للمستبدين

قال سنة ١٨٩٤ في أول قصيدة له في ديوانه ينبه الملوك إلى قوة الشعوب ويدعوهم
إلى النزول على حكمها :

إن ملكتَ النفوس فابغ رضاها فلها ثورةٌ وفيها مضاه
يسكن الوحش للوثوب من الأسر فكيف الخلائق العقلاء ؟
يحسب الظالمون أن سيسودو ن وأن لن يؤيد الضعفاء
والليالي جوائرٌ مثلها جا روا وللدهر مثلهم أهواء

وقال سنة ١٩٢٢ يبشر بحكم الشعوب وزوال حكم الفرد :

زمان الفرد يا فرعون ولى ودالت دولة المتجبرينا
وأصبحت الرعاة بكل أرض على حكم الرعية نازلينا

وقال سنة ١٩٢٣ يندد بالمستبدين :

المستبد يُطاق فى ناووسه لا تحت تاجيه وفوق وثابه^(١)
والفرد يؤمن شره فى قبره كالسيف نام الشر خلف قِرابه^(٢)

وقال فى هذا المعنى يخاطب توت عنخ آمون سنة ١٩٢٥ :

قسما بمن يحيى العظما م ولا أزيدك من يمين
لو كان من سفر أيا بك أمس أو فتح ميين
لأيت جيلا غير جيلك بالجبار لا يدين
ورأيت محكومين قد نصبوا وردوا الحاكين^(٣)
روح الزمان ونظمه وسيله فى الآخرين
ان الزمان وأهله فرغا من الفرد اللعين
فإذا رأيت مشايخا أو فتية لك ساجدين
لاق الزمان تجدهم عن ركبهم متخلفين
هم فى الأواخر مولدا وعقولهم فى الأولين

الشعب قد يُخدع

قال فى مسرحية (مصرع كليوباترة) على لسان (حابى) يخاطب (ديون)^(٤) :

إسمع الشعب ديون كيف يُوحون إليه
ملأ الجو هتافا بجيأتى قاتليه
أثر البهتان فيه وانطلى الزور عليه
يا له من بقاء عقله فى أذنيه

(١) الناووس . القبر . والوثاب : السرير . (٢) قراب السيف غمده .

(٣) نصبوا وردوا ، أى ولوا وعزلوا الحاكين .

(٤) حابى وديون من أشخاص الرواية وكلاما من أمناء مكتبة قصر كليوباترة .

الحياة الدستورية السليمة

قال عن الدستور :

شرُّ الحكومة أن يساس بواحد في الملك أقوامٌ عداد رماله
وقال سنة ١٩٢٤ من قصيدة له عن (الأزهر) :

وتَقَيَّأُوا الدستورَ تحتَ ظلالِهِ كَنَفًا أَهَشَّ منَ الرياضِ وأنْضَرَا
لا تَجْعَلُوهُ هَوًى وَخُلْفًا بَيْنَكُمْ وَحَجَرَ دُنْيَا لِلنَفُوسِ وَمَتَجَرَا
اليومَ صَرَّحتِ الأمورُ فَأَظْهَرَتْ ما كانَ من خَدَعِ السِّيَاسَةِ مَضْمَرَا
قد كانَ وَجْهُ الرَأْيِ أنَ نَبْقَى يَدًا وَنَرَى وراءَ جُنُودِهَا إِنْجَلَتْرا
فإذا أَتَيْنَا بالصفوفِ كَثِيرَةً جِئْنَا بِصَفٍّ واحدٍ لَنْ يُكْسِرَا

وقال سنة ١٩٢٦ من قصيدة له في عيد الجهاد :

وبالدستور وهو لنا حياة نرى فيه السلامة والفلاحا
أخذناه على المهج الغوالي ولم نأخذ نَيْلاً مُسْتَمَاحا
بَنَيْنَا فِيهِ من دَمْعِ رُواقِ ومن دم كل نابتة جناحا

وقال سنة ١٩٢٧ عن الحياة الدستورية السليمة :

إذا سَلِمَ الدستورُ هانَ الذي مَضَى وهانَ من الأحداثِ ما كانَ آتِيا
الأكلُ ذنبٌ ليلالي لأجلِهِ سَدَلْنَا عَلَيْهِ صَفْحَنَا وَالتَّنَاسِيا

وقال سنة ١٩٢٦ حينما اجتمع المؤتمر الوطني يوم ١٩ فبراير من تلك السنة واثقلت فيه
الأحزاب يحى الدستور لمناسبة عودته بعد توحيد الصفوف :

صَرَحَ^(١) على الوادى المبارك ضاحي متظاهراً بالأعلام والأوضح
ضافى الجلالة كالعتيق مُفَصَّلٌ ساحاتِ فضلٍ في رِحابِ سَمَاح
وكانَ رَفْرَفَهُ رواقٍ من ضُحَى وكانَ حائطُهُ عَمُودُ صَبَاح

(١) يريد الدستور .

الحقُّ خَلَفَ جناحٍ استذرى^(١) به
هو هيكَلُ الحريةِ القانى ، له
يُبْنَى كما تُبْنَى الخنادقُ فى الوغى
يَنْهَارُ الاستبدادُ حولَ عِراضِهِ
ويكبُّ طاغوتُ الأمورِ لَوَجْهِهِ
ومراشدُ السلطانِ خَلَفَ جَنَاحِ
مالِلهيا كلِّ من فِدَى وأَصَاحِ
تَحْتَ النبالِ وصَوْبُهَا السَّحَّاحِ
مِثْلُ انْهيارِ الشُّركِ حولَ (صلاح)^(٢)

هو ما بَنَى الأَعْزَالُ بالِرَّاحاتِ أو
أَخَذَتْهُ (مصرُ) بكلِّ يومٍ قَاتِمٍ
هَبَّتْ سِماحاً بالحياةِ شَبَابُهَا
وَمَشَتْ إلى الخليلِ الدوارِعِ وانْبَرَتْ
وقَفَّتْ حَقِّ لَمْ تَقِفْهَا أمةٌ
وإذا الشعوبُ بَنَوْا حَقِيقَةَ مُلْكِهِمْ
إلى أن قال فى توحيد الصفوفِ :

بُشْرِى إلى الوادى تَهْزُ نَبَاتُهُ
تَسْرِى مُلَمَّحَةً الحُجُولِ على الرُّبَى
التَّامَتْ الأحزابُ بعدَ تَصَدُّعِ
سُحِبَتْ على الأحقادِ أذْيَالُ الهوى
وَجَرَتْ أحاديثُ العتابِ كأنْهَا
تَرْمَى بِطَرْفِكَ فى الجامعِ لا ترى
هَزَّ الرِّيعِ مَنَّا كَبِ الأُدُوحِ
وَتَسِيلُ غُرَّتْهَا بكلِّ بِطَاحِ
وتصافتِ الأَقْلَامُ بعدَ تَلَّاحِ
وَمَشَى على الضُّفْنِ الودادُ المَاحِ
سَمَرٌ على الأوتادِ والأقْداحِ
غَيْرَ التَّعَانُقِ واشتباكِ الراحِ

إلى أن قال يصف تعطيل الدستور عام ١٩٢٥ :

إِحْتَلَّ حِصْنَ الحقِّ غيرُ جنودِهِ
وَتَكَالَبَتْ أَيْدٍ على المِفْتَاحِ

(١) استذرى : استظل .

(٢) صلاح : اسم لملك .

ضَجَّتْ عَلَى أَبْطَالِهَا تُكْنَاهُ وَاسْتَوْحَشَتْ لِكَلِمَاتِهَا النَّزَّاحِ
هُجِرَتْ أَرَائِكُهَا وَعُطِّلَ عَوْدُهُ وَخَلَا مِنَ الْغَادِينَ وَالرَّوَّاحِ
وَعَلَاهُ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ فِرَازُهُ كَالْغَارِ مِنْ شَرَفٍ وَسَمَتْ صِلَاحُ
وَقَالَ يَنْصَحُ الشَّبَابُ :

قُلْ لِلْبَنِينَ مَقَالَ صَدَقَ ذَرْعُ الشَّبَابِ يَضِيقُ بِالنَّصَّاحِ
أَنْتُمْ بَنُو الْيَوْمِ الْعَصِيبِ نَشَأْتُمْ فِي قِصْفِ أَنْوَاءٍ وَعِصْفِ رِيَّاحِ
وَرَأَيْتُمْ الْوَطْنَ الْمُؤَلَّفَ صَخْرَةً فِي الْحَادِثَاتِ وَسَيْلِهَا الْمَجْتَاحِ
وَشَهِدْتُمْ صَدْعَ الصَّفُوفِ وَمَا جَنَى مِنْ أَمْرِ مُفْتَاتٍ وَنَهْيِ وَقَاحِ
صَوْتُ الشُّعُوبِ مِنَ الزُّبَيْرِ مَجْمَعًا فَإِذَا تَفَرَّقَ كَانَ بَعْضُ نَبَاحِ
أُظْمِتْكُمْ الْأَيَّامُ ثُمَّ سَفَتْكُمْ رَفَقًا مِنَ الْإِحْسَانِ غَيْرِ قَرَّاحِ
وَإِذَا مُنِحْتَ الْخَيْرَ مِنْ مُتَكَلِّفٍ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ سَجِيَّةُ الْمَنَاحِ
تَرَكْتُكُمْ مِثْلَ الْمَهِيضِ جَنَاحُهُ لَا فِي الْحِجَالِ وَلَا طَرِيقُ سَرَّاحِ
مَنْ صَيَّرَ الْأَغْلَالَ زُهْرًا قَلَّائِدٍ وَكَسَا الْقِيُودَ مُحَاسِنَ الْأَوْضَاحِ
إِنْ الَّتِي تَبْعُونَ دُونَ مَنَاحِهَا طَوْلُ اجْتِهَادٍ وَاضْطِرَادِ كِفَاحِ
سِيرُوا إِلَيْهَا بِالْأَنَاءِ طَوِيلَةً إِنْ الْأَنَاءُ سَبِيلُ كُلِّ فَلَاحِ
وَخُذُوا بِنَاءَ الْمُلْكِ عَنْ دُسْتُورِكُمْ إِنَّ الشَّرَّاعَ مُتَقَفُّ الْمَلَّاحِ

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٦ حين اجتمع برلمان الائتلاف :

الْحَقُّ أُبْلِجٌ وَالْكُنَانَةُ حُرَّةٌ وَالْعِزُّ لِلدُّسْتُورِ وَالْإِكْبَارُ
الْأَمْرُ شُورَى لَا يَعْثُ مُسَلِّطٌ فِيهِ وَلَا يُطْفَى بِهِ جَبَّارُ
عَهْدٌ مِنَ الشُّورَى الظِّلِيلَةِ نُضِرَتْ أَصَالُهُ وَاحْضَلَّتْ الْأَسْحَارُ
تَجْنِي الْبِلَادُ بِهَا ثَمَارَ جُهْدِهَا وَلِكُلِّ جَهْدٍ فِي الْحَيَاةِ ثَمَارُ
بَنِيَانُ آبَاءٍ مَشَا بِسَلَاحِهِمْ وَبَنِينَ لَمْ يَحْدُوا السَّلَاحَ قَتَارُوا

فيه من التل المدرج حائط ومن المشائق والسجون جدار
أبت التقييد بالهوى وتقيدت بالحق أو بالواجب الأحرار
في مجلس لا مال مصر غنية فيه ولا سلطان مصر صغار
ما للرجال سوى المرشد منهج فيه ولا غير الصلاح شعار
يتعاونون كأهل دار زلزلت حتى تفر وتطمئن الدار
يجرون بالرفق الأمور وفلكها والريح دون الفلك والإعصار
ومع المجدد بالأناة سلامة ومع المجدد بالجراح عثار

يدعو إلى انتخاب الأكفاء الشرفاء

ومن قصيدة له سنة ١٩٢٢ قال في مطلعها :
أعدت الراحة الكبرى لمن تعبنا وفاز بالحق من لم يأله طلبا
إلى أن قال مشيرا إلى الانتخابات البرلمانية :
دار النيابة قد صفت أرائكها لا تجلسوا فوقها الأحجار والخشبا
اليوم يا قوم إذ تبنون مجلسكم تبنون للعقب الأيام والحقبا
ومن قصيدته سنة ١٩٢٤ عن (الأزهر) :

دار النيابة هببت درجاتها فليترق في الدرج الذوائب والذرا
الصارخون إذا أسى إلى الحمى والذائدون إذا غيّر على الشرى
لا الجاهلون العاجزون ولا الألى يمشون في ذهب القيود تبخترا

رؤاد الوطنية

قال سنة ١٩٢٥ من قصيدة له في رثاء المرحوم عبد اللطيف الصوفاني :

أست من فئة سهام سنوا الحاماة والرماة
فناهم بالشباب ضحى ما أعظم الذبح والفداء
ومات أبطالهم جياعا في غير أوطانهم ظاء

ولو أرادوا متاع دنيا لأدركوا الحكم والثراء
قضية الحق منذ قامت لم تأل أركانها بناء
تخذوا على مصطفى وتبنى جيلا من الحق أقوياء
شرعتمو للشباب ديناً كدينهم بيناً سواء
لما أتيتم به جعلتم رأسَ تعاليمه (الجلاء)
جعلتم مصر ثم سرتم فكنتم الجمع واللواء
وما عرقتم لغير مصر وغير أحبابها ولواء
لم تمسحوا للعميد رأساً ولا نفضتم له حذاء

وقال من قصيدة يرثي فيها المرحوم أمين الرافعي :

قيل غالٍ في الرأي قلتُ هَبْوه قد يكون الغلو رأياً أصيلاً
وقديماً بنى الغلو نفوساً وقديماً بنى الغلو عقولاً
قد فقدنا به بقيّة رهطٍ أيقظوا النيل واديا ونزيراً
حرّكوه وكان بالأمس كالكمف حزوناً وكالرقيم سهولاً
يا أمين الحقوق أدّيت حتى لم تحن مصر في الحقوق فتيلاً
ولو استطعت زدت مصر من الحق على نيلها المبارك نيلاً
لست أنساك قابعا بين درجيك مكباً عليهما مشغولاً
قد تواريت في الخشوع فخالو لك ضئيلاً وما خلقت ضئيلاً
سائل (الشعب) عنك و (العلم) الخفاق أو سائل (اللواء) الظليل
تُشدّ الناس في (القضية) لحناً كالحواري رتل الإنجيل
ماضياً في الجهاد لم تتأخر تزين الصف أو تقيم الرعيلاً
ما تبالي مضيت وحدك تحيي حوذة الحق أم مضيت قبلاً

يدعو إلى النهضة الاقتصادية

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له في الاحتفال بإنشاء بنك مصر يدعو إلى الاكتتاب في رأس مال البنك وينوه بفضل المال في نهضة الأمم :

قف بالممالك وانظر دولة المال واذكر رجالا أدلوها بإجمال
إلى أن قال :

يا طالبا نعالى الملك مجتهداً	خذها من العلم أو خذها من المال
بالعلم والمال يبنى الناس ملكهم	لم يُبْنِ ملكٌ على جهل وإقلال
سراة مصر عهدناكم إذا بسطت	يد الدعاء سراة غير بُحَال
تبين الصدق من بين الأمور لكم	فامضوا إلى الماء لا تلوا على الآل
لا يذهب الدهر بين الترهات بكم	وبين زهر من الأحلام قتال
هاتوا الرجال وهاتوا المال واحتشدوا	رأيا لرأى ومثقالا بمثقال
هذا هو الحجر الدرى بينكمو	فابنوا بناء قريش بيتها العالى
آمال مصر إليها طالما طمحت	هل تبخلون على مصر بآمال
فابنوا على بركات الله واغتموا	ما هيا الله من حظٍ وإقبال

وقال في قصيدة أخرى :

الملك بالمال والرجال لم يُبْنِ ملكٌ بغير مال

يحيى النهضة النسوية

كان مؤيداً ونصيراً لنهضة المرأة ، ألقى هذه القصيدة سنة ١٩٢٤ في جمع حافل من السيدات المصريات بمسرح حديقة الأزبكية ، وجعل عنوانها في ديوانه (مصر تجدد مجدها بنسائها المتجددات) قال :

فَمِ حَيِّ هَذِي النِّيرَاتِ حَيِّ الحَسَانَ الخَيْرَاتِ
واخْفِضْ جَبِينِكَ هَيَّةً لِلخُرْدِ المتخَفِّراتِ^(١)

(١) الخرد : العذارى ، والتخفرات : المستحيات ، والمفر هو الحياء .

زَيْنُ الْقَاصِرِ وَالْحَجَا لِي وَزَيْنُ مَحْرَابِ الصَّلَاةِ
هَذَا مَقَامُ الْأُمَمَا تِ فَهَلْ قَدَرْتَ الْأُمَمَاتِ ؟
لَا تَلْعُ^(١) فِيهِ وَلَا تَقُلْ غَيْرَ الْفَوَاصِلِ مُحْكَمَاتِ
وَإِذَا خُطِبْتَ فَلَا تَكُنْ خُطْبًا عَلَى مِصْرَ الْفَتَاةِ
اذْكُرْ لَهَا الْيَابَانَ لَا أُمَّ الْهَوَى الْمُتَهْتِكَاتِ
مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْخُضَاوَةِ يَا أُخَيَّ التَّرَهَاتِ
لَمْ تُلَقْ غَيْرَ الرِّقِّ مِنْ عُسْرِ عَلَى الشَّرْقِيِّ عَاتِ

خُذْ بِالْكِتَابِ وَبِالْحَدِيثِ ثِيَابَ وَسِيرَةِ السَّلَفِ الثَّقَاةِ
وَارْجِعْ إِلَى سُنَنِ الْخَلِيقَةِ وَاتَّبِعْ نَظْمَ الْحَيَاةِ
هَذَا رَسُولُ اللَّهِ لَمْ يُنْقِصْ حُقُوقَ الْمُؤْمِنَاتِ
الْعِلْمُ كَانَ شَرِيعَةً لِنِسَائِهِ الْمُتَفَقِّهَاتِ
رُضْنُ التِّجَارَةِ وَالسَّيَا سَةِ وَالشُّؤُونَِ الْأَخْرِيَاتِ
وَلَقَدْ عَلِمْتَ بَنَاتِهِ لُجُجُ الْعُلُومِ الزَّاهِرَاتِ
كَانَتْ سَكِينَةً^(٢) تَمَلَأُ الرُّوَاتِ دُنْيَا وَتَهْزُ بِالرَّوَاةِ
رَوَتْ الْحَدِيثَ وَفَسَّرَتْ آيَ الْكِتَابِ الْبَيِّنَاتِ
وَحَضَارَةُ الْإِسْلَامِ تَدُ طُوقُ عَنْ مَكَانِ الْمُسْلِمَاتِ
بَغْدَادُ دَارُ الْعُلَمَاءِ تِ وَمَنْزِلُ الْمُتَأَدِّبَاتِ
وَدِمَشْقُ تَحْتَ أُمِّيَّةِ أُمِّ الْجَوَارِي^(٣) النَّابِغَاتِ
وَرِيَاضُ أُنْدَلُسٍ نَمِيَّةِ نِ الْهَاتِفَاتِ الشَّاعِرَاتِ
أَدْعُ الرِّجَالَ لِيَنْظُرُوا كَيْفَ اتِّحَادُ الْغَانِيَاتِ

(١) لَا تَلْعُ : لَا تَقُلْ بِاطْلَا . (٢) سَكِينَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ رَضِيَ عَنْهُمَا . (٣) الْفَتَايَاتُ .

والنَّفْعَ كَيْفَ أَخَذْنَ فِي أَسْبَابِهِ مَتَاعُونَ
لَمَّا رَأَيْنَ نَدَى الرَّجَا لِي تَفَاخُرًا أَوْ حُبَّ ذَاتِ
وَرَأَيْنَ عِنْدَهُمُ الصَّنَاءَ نَعِ وَالْفُنُونِ مُضَيَّعَاتِ
وَالْبَرَّ عِنْدَ الْأَغْنِيَا ءِ مِنَ الشُّؤْنِ الْمُهْمَلَاتِ
أَقْبَلْنَ يَبْنِينَ الْمَاءَ ثَرًا لِلنَّجَاحِ مُوَفَّقَاتِ
لِلصَّالِحَاتِ عَقَائِلِ الْوَادِي هَوًى فِي الصَّالِحَاتِ
اللَّهُ أَنْتَهُنَّ فِي طَاعَاتِهِ خَيْرَ النَّبَاتِ
فَاتَيْنَ أَطِيبَ مَا أَتَى زَهْرُ الْمَنَاقِبِ وَالصِّفَاتِ
لَمْ يَكْفِ أَنْ أَحْسَنَ حَتَّى زِدْنَ حُضَّ الْحَسَنَاتِ
يَمْشِينَ فِي سُوقِ الثَّوَابِ بِ مَسَاوِمَاتِ رَابِحَاتِ
يَلْبَسْنَ ذَلِكَ السَّائِلَا تِ وَمَا ذَكَرْنَ الْبَاسَاتِ
فَوَجُوهُهُنَّ وَمَاوَاهَا سِتْرًا عَلَى الْمُتَجَمَّلَاتِ
مَصْرًا تُجَدِّدُ مَجْدَهَا بِنَسَائِهَا لِلتَّجَدُّدَاتِ
الْنافِرَاتِ مِنْ الْجُمُوعِ دَكَاهُ شَبَحُ الْمَمَاتِ
هَلْ بَيْنَهُنَّ جَوَامِدًا فَرَقُ وَبَيْنَ الْمُؤْمِيَاتِ
لَمَّا حَضْنَ لَنَا الْقَضَا يَةً كُنَّ خَيْرَ الْخَاضِنَاتِ
غَذَّيْنَهَا فِي مَهْدِهَا يَلْبَابِهِنَّ الطَّاهِرَاتِ
وَسَبَقْنَ فِيهَا الْمُعْلِمِ نَ إِلَى الْكَرِيهَةِ مُعْلَمَاتِ (١)
يَنْفُشْنَ فِي الْفَتَيَانِ مِنْ رُوحِ الشَّجَاعَةِ وَالثَّبَاتِ
يَهْوِينَ تَقْبِيلَ الْمُهْدِ دَ أَوْ مُعَانَقَةَ الْقَنَاةِ
وَيَرَيْنَ حَتَّى فِي الْكَرَى قُبَلَ الرِّجَالِ مُحَرَّمَاتِ

(١) المعلمون : بفتح اللام : الفرسان لهم علامة في الحرب لبطولتهم .

يحي الصحافة

قال سنة ١٩٢٠ من قصيدة له في احتفال أقامته نقابة الصحفيين :

لكل زمان مضي آية وآية هذا الزمان الصحف
لسان البلاد ونبض العباد وكهف الحقوق وحرب الجَنَف^(١)
تسير مسير الضحى في البلاد إذا العلم مَرَّقَ فيها السَّدَف
وتمشى تَمْشَى في أُمَّة كثيرة من لا يخطُّ الألف

فيا فتية الصحف صبراً إذا نبا الرزق فيها بكم واختلف
فإن السعادة غيرُ الظهور وغير الثراء وغير التَّرف
ولكنها في نواحي الضمير إذا هو باللؤم لم يكتف
وروموا النبوغ فمن ناله تلقى من الحظ أسنى التحف

حمدنا بلاءكم في النضال وأمس حمدنا بلاء السلف
ومن نسي الفضل للسابقين فما عرف الفضل فيما عرف
أليس إليهم صلاحُ البناء إذا ما الأساس سما بالعرف

يندد بمن يخذل الوطنية

في سنة ١٩٠٤ خطب مصطفى رياض باشا في حفلة تأسيس مدرسة محمد علي الصناعية بالإسكندرية خطبة امتدح فيها اللورد كرومر كما امتدح الاحتلال البريطاني وقد أثارَت هذه الخطبة سخط الرأي العام واستنكرها المواطنون ، وكان شوق صوت الشعر الناطق باستنكار الخطبة وصاحبها ، قال :

كبير السابقين من الكرام برغمي أن أنالك بالسلام

مقامك فوق ما زعموا ولكن رأيت الحق فوقك والمقام
إلى أن قال :

غمرت القوم ^(١) إطراءً وحداً	وهم غمروك بالنعم الجسام
رأوا بالأمس أنفك بالثريا	فكيف اليوم أصبح في الرغام
<u>خطبت فكنت خطيباً لا خطيباً</u>	<u>أضيف إلى مصائبنا العظام</u>
<u>لهجت بالاحتلال وما أناه</u>	<u>وجرحك منه لو أحسست دام</u>
وهل تركت لك السبعون عقلاً	لعراف الحلال من الحرام ؟

يندد بقاضى دنشواى

كان أحمد فتحى زغلول أحد قضاة محكمة دنشواى الذين أصدروا ذلك الحكم الجائر فى تلك المأساة سنة ١٩٠٦ ، وقد رقى بعد ذلك وكيلًا لوزارة الحقانية (العدل) وأقيمت له حفلة تكريم فى فندق شبرد دعى إليها شوقى فرفض الدعوة وأرسل فى ظرف مغلق هذه الأبيات التى عبر فيها أبلغ تعبير عن تنديده بالاحتفل به وبالاحتفلين :

إذا ما جمعتم أمركم وهمتمو	بتقديم شيء للوكيل ثمين
خذوا جبل مشنوق بغير جريرة	وسروال مجلود وقيد سجين
ولا تعرضوا شعري عليه فحسه	من الشعر حكم خطه يمين
ولا تقرأوه فى « شبرد » بل اقرأوا	على ملأ فى دنشواى حزين

الحنين إلى الوطن

زاد حب شوقى للوطن وتعلقه به فى منفاه بالأندلس ، وقد كان نفيه بأمر السلطة العسكرية البريطانية خلال الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٥ ، وبقى فى منفاه بعيداً عن الوطن نحو خمسة أعوام إلا قليلاً ، فازداد شعوراً بلوعة الحزن على فراقه ، واستثار النفي الوطنية الكامنة فى نفسه ، وأججت الغربة نارها ، فانطلق يشدو بالحنين إلى الوطن

(١) يربد المحتلين .

حسبك منه سينيته الأندلسية ، تلك القصيدة الخالدة التي نظمها سنة ١٩١٩ يعارض فيها
سينية البحترى ، قال في مطلعها :

إختلافُ النهار والليل يُنسى
وسَلَا (مصرَ) هل سلا القلبُ عنها
أذكرُ لي الصُّبا وأيامَ أنسى
كلما مرّت الليالي عليه
أو أسَا جُرحَهُ الزمانُ المؤتى
رَقَّ والعهدُ في الليالي تُنسى

إلى أن قال :

يا ابنةَ اليمِّ^(١) ما أبوكِ بخيلٍ
أحرامٌ على بلابله الدَّوْ
ما له مولعاً بمنعٍ وحبسٍ
كلُّ دارٍ أحقُّ بالأهلِ إلّا

نَفْسِي مِرْجَلٌ وقلبي شِراعٌ
واجلي وجهك (الفَنَار) ومجرا
بهما في الدموع سيري وأرسي
وطنى لو شُفِلْتُ بأُخلد عنه
كَيْدَ (الثغر) بين (رمل) و (مكس)
شَهِدَ اللهُ لم يَغِبْ عن جفوني
نارعتني إليه في الخلد نفسي
شخصه ساعة ولم يخلُ حتى

والقصيدة من أروع ما نظم شوقي

وله في هذا المعنى قصيدة أخرى رائعة نظمها في منفاه يعارض فيها نونية ابن زيدون .
قال :

يا نائِخَ (الطَّلح) أشبَاهَ عَوَادِينَا
مَاذَا تَقْصُّ عَلَيْنَا غَيْرَ أَنْ يَدَا
نَشْجَى لَوَادِيكَ أَمْ نَأْسَى لَوَادِينَا^(٢) ؟
قَصَّتْ جَنَاحَكَ جَالَتْ فِي حَوَاشِينَا !

(١) يقصد السفينة .

(٢) يقصد مذهب الاستعمار الذي يضطهد الوطنيين وينفهم وينعمهم من التعبير عن آرائهم والإعراب عن آمالهم .

(٣) الطلح واد بالأندلس ، بضاحية أشبيلية ، يخاطب حمام هذا الوادى ويمثله شيئا به في لوعته وغرته ، وعوادينا أى عوادي الدهر ومصائبه .

رمى بنا البين^(١) أَيْكَا غَيْرِ سَامِرَةٍ أَخَا الْغَرِيبِ ؛ وَظِلًّا غَيْرِ نَادِينَا
ثُمَّ انْتَقَلَ مِنْ خُطَابِ الطَّائِرِ الْحَزِينِ إِلَى بَكَاءِ الْأَنْدَلُسِ قَالَ :

أَهَّا لَنَا ! نَازِحِي أَئِيكَ بِأَنْدَلُسِ وَإِنِّ حَلَلْنَا رَفِيقًا مِنْ رَوَائِنَا^(٢)
رَسْمٌ وَقَفْنَا عَلَى رَسْمِ الْوَفَاءِ لَهُ نَجِيشٌ بِالْدمعِ وَالْإِجْلَالِ يُثْنِينَا
إِلَى أَنْ قَالَ فِي الْحَنِينِ إِلَى مِصْرَ :

لَكَنَّ (مِصْرَ) وَإِنْ أَغْضَتْ عَلَى مِقَّةٍ^(٣) عَيْنٌ مِنَ الْخُلْدِ بِالْكَافُورِ تَسْقِينَا
عَلَى جَوَانِبِهَا رَفَّتْ تَمَامُنَا وَحَوْلَ حَافَتِهَا قَامَتْ رَوَائِنَا^(٤)
مَلَاعِبٌ مَرَحَتْ فِيهَا مَارِبُنَا وَأَرْبُعٌ أُنِسَتْ فِيهَا أَمَانِينَا
وَمَطْلَعٌ إِسْعُودٍ مِنْ أَوَاخِرِنَا وَمَغْرِبٌ لَجُودٍ مِنْ أَوَالِينَا
بِنَا^(٥) فَلَمْ نَخْلُ مِنْ رَوْحٍ يُرَاوِحُنَا مِنْ بَرٍّ مِصْرَ وَرِيحَانٍ يُفَادِينَا
كَأَمْ مُوسَى عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَكْفُلُنَا وَبِاسْمِهِ ذَهَبَتْ فِي الْيَمِّ تُلْقِينَا^(٦)
وَمِصْرَ كَالْكَرْمِ ذِي الْإِحْسَانِ فَكَهْةٌ لِحَاضِرِينَ وَأَكْوَابٌ لِبَادِينَا

يَاسَارَى الْبَرْقِ يَرْمِي عَنْ جَوَانِحِنَا بَعْدَ الْهُدُوءِ وَيَهْمِي عَنْ مَا قِينَا
لَمَّا تَرَقَّرَ فِي دَمْعِ السَّمَاءِ دَمًا هَاجَ الْبُكَاءُ فَخَضَبْنَا الْأَرْضَ بِأَكِينَا
إِلَى أَنْ قَالَ يَخَاطَبُ مَوَاطِنِيهَ :

إِلَى الَّذِينَ وَجَدْنَا وَدَّ غَيْرِهِمْ دُنْيَاً وَوَدَّ هُوَ الصَّافِي هُوَ الدِّينَا
يَا مَنْ تَفَارَّ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَمَائِرِنَا وَمِنْ مَصُونٍ هَوَاهِمٍ فِي تَنَاجِينَا
نَابَ الْحَنِينُ إِلَيْكُمْ فِي خَوَاطِرِنَا فِي النَّائِبَاتِ فَلَمْ يَأْخُذْ بِأَيْدِينَا

(١) البين : البعد ، والأيك : الشجر الكثير المتلف .

(٢) الرقيق : الحبيب . (٣) المقة : الحجة .

(٤) الرواق : جمع راقية وهي ما يرقى به الصبي درءاً للسر . (٥) بنا : أي بعدنا .

(٦) شبه مصر حين اضطرت إلى تقيه بأمر موسى عليه السلام حين ألقته في اليم صبياً وسألت الله أن يكفله .

إلى أن قال يشيد في منقاه بعظمة مصر :

لم تنزل الشمس ميزاناً ولا صعدت في ملكها الضخم عرشاً مثل وادينا
ألم تُؤَلِّه على حافاتِه ورأت عليه آباءها الغر الميامينا ؟
وهذه الأرض من سهل ومن جبل قبل (القياصر) دَنَّاها (فراعينا)
ولم يضع حجراً بانٍ على حجر في الأرض إلا على آثار بائنا
كان (أهرام) مصر حائطاً نهَضَتْ به يد الدهر لابنَانِ فائنا

إلى أن قال في تحية مصر وتشوقه إليها من منقاه :

أرض الأبوة والميلاد طيَّها مرُّ الصبا في ذيول من تصابينا
كانت محجَّلة فيها مواقنا غراً مُسَلَّةً المجرى قوافينا
فآب من كُرة الأيام لأعينا وثاب من سِنَّة الأحلام لاهينا
ولم ندع ليلي صافيا فدعت بأن نغصَّ فقال الدهر آمينا
لو استطعنا لُخضنا الجو صاعقة والبرَّ نارَ وغى والبحر غسلينا^(١)
سعيًا إلى مصر نقضى حقَّ ذاكرنا فيها إذا نسي الوافي وباكينَا

وقال يذكر والدته بجلوان وقد توفيت قبيل عودته :

كزَّ (بجلوان) عند الله نطلبه خيرَ الودائع من خير المؤدينا
لوغاب كل عزيز عنه غيبتنا لم يأتِه الشوق إلا من نواحينَا
إذا حَمَلْنَا لمصر أوله شجنَا لم ندر أى هوى الأُمِين شاجينا .

وقال أيضاً سنة ١٩١٧ في منقاه يهتف بمصر وساكنيها :

ياساكني مِصرَ إِنَّا لا نزال على عهد الوفاء وإن غنا مقيمينا
هلاً بعثم لنا من ماء نيلكم شيئاً نبل به أحشاء صادينا^(٢)
كل المناهل بعد النيل آسنة ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

(١) الغسلين : الصديد .

(٢) الصادى : الظمآن .

وقد بعث شوقي بهذه الأبيات إلى صديقه وصنوه حافظ إبراهيم فأجابه حافظ
بالآيات الآتية :

عجبت للنيل يدرى أن بلبله صاِدٍ ويسقى رباً مصر ويسقينا
تالله ما طاب للأصحاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لنا
لم نأ عنه وإن فارقت شاطئه وقد نأينا وإن كنا مقيمين

يشيد بعظمة مصر

لقد ملك حب مصر مشاعره فكان يتغنى بعظمتها ويشيد بمفاخرها ، وتفيض قصائده
بهذا المعنى السامى .

قال فى تحية مصر والنيل والمهرم من قصيدة نظمها سنة ١٩١٤ يحى بها الطائرين
العثمانيين سالم وكل حين قدومهما إلى مصر على متن طائرتيهما عن طريق العريش وسيناء :

ياراكب الريح حى النيل والمهرما وعظم السفح من سيناء والحرما
وقف على أثر مر الزمان به فكان أثبت من أطواده قما
واخفص جناحك فى الأرض التى حلت موسى رضيعاً وعيسى الطهر منقطاً
وأخرجت حكمة الأجيال خالدةً وبينت للعباد السيف والقلم
هذا فضاء تلم الريح خاشعةً به ويمشى عليه الدهر محتشماً
وقال من قصيدة له فى أبى الهول :

أبا الهول طال عليك العصر وبُلغت فى الأرض أقصى العمر
فبالدة الدهر^(١) لا الدهر شَبَّ ولا أنت جاوزت حد الصغر
إلام ركوبك متن الرما لى لى الأصيل وجوب السحر
تسافر منتقلا فى القرو ن فأيان تلقى غبار السفر ؟
أبينك عهد وبين الجبا لى تزولان فى الموعد المنتظر^(٢) ؟

(١) أى يا أبا الدهر وقرينه فكأنه والدهر توأمان .

(٢) يوم القيامة .

أبا الهول أنتَ نديمُ الزما نِ نَجِيّ الأوانِ سَمِيرِ العُصْرِ
ظليلَ الحضارةِ في الأوليِّ نَ رَفِيعِ البناءِ جليلِ الأثرِ

وختمها بقوله :

تحرّكْ أبا الهول هذا الزما نَ تحرّكْ ما فيه حتى الحجر

وقال عن الأهرام من قصيدة له سنة ١٩٢٢ :

قفْ نَاجِ أهرامَ الجلالِ ونادِ هل من بُناتِكَ مجلسِ أو نادِ
نشكو ونفرع فيه بين عيونهم إن الأُبُوَّةَ مفرعِ الأولادِ
ونبشُّهم عبثَ الهوى بترائهم من كلِّ مُلْقٍ للهوى بقيادِ
ونبين كيف تفرقَ الأخوانُ في وقتِ البلاءِ تفرقَ الأصدادِ^(١)
إن المغالط في الحقيقة نفسه باغٍ على النفس الضعيفة عادِ

قل للأعاجيب الثلاث^(٢) مقالة من هاتفِ بمكانهن وشادِ
لله أنت فما رأيتُ على الصفا هذا الجلال ولا على الأوتادِ
لك كالمعابد رَوْعةٌ قدسية وعليك روحانية العبادِ
أُسِّستِ من أحلامهم بقواعد ورُفِعَتِ من أخلاقهم بعبادِ
قُمِ قَبْلَ الأحجارِ والأيدى التي أخذت لها عهداً من الآبادِ
وخذ النبوغ من الكنانة أنها مهدِ الشمسِ ومسقطِ الآرادِ^(٣)

وقال يشيد بعظمة الأهرام من قصيدته (على قبر نابليون) :

قم إلى الأهرام واخشعْ واطرَحْ خيلة الصَّيدِ^(٤) وزهو الفاتحينِ

(١) يشير إلى الانقسام الذي حدث سنة ١٩٢١ بين سعد وعدي وأنصارها وتصدعت بسببه الوحدة الوطنية .

(٢) يريد الأهرام الثلاثة . (٣) الآراد جمع رَأَد . يريد رَأَد الضحى : وقت ارتفاع الشمس .

(٤) الملوك .

وتَهْمَلُ إِنَّمَا تَمْشِي إِلَى حَرَمِ الدَّهْرِ وَبَحْرَابِ الْقُرُونِ
 هُوَ كَالصَّخْرَةِ عِنْدَ الْقَبْطِ أَوْ كَالْخَطِيمِ الطَّهْرِ عِنْدَ الْمَسَامِينِ
 وَتَسْمُ مِنْبَرًا مِنْ حَجَرٍ لَمْ يَكُنْ قَبْلَكَ حِطًّا لِلخَاطِبِينَ
 وَادَعِ أَجْيَالًا تَوَلَّتْ يَسْمَعُوا لَكَ وَابْعَثْ فِي الْأَوَالِي حَاشِرِينَ
 وَأَعِدْهَا كَلِمَاتٍ أَرْبَعًا^(١) قَدْ أَحَاطَتْ بِالْقُرُونِ الْأَرْبَعِينَ
 قَدْ عَرَضَتْ الدَّهْرَ وَالْجَيْشَ مَعًا غَايَةً قَصَّرَ عَنْهَا الْفَاتِحُونَ
 عِظَّةً قَوْمِي بِهَا أُولَى وَإِنْ بَعْدَ الْعَهْدِ فَهَلْ يَعْتَبِرُونَ ؟

قصر أنس الوجود

وقال سنة ١٩١٠ عن قصر (أنس الوجود) بأسوان وكيف يغمرد النيل وقت الفيضان ،
 من قصيدة يخاطب فيها الكولونل تيودور روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأسبق ، وكان
 قد ألقى خطبة ينتقص فيها من قدر المصريين فرد عليه شوقي بهذه القصيدة :

أَيُّهَا الْمُنْتَحَى (بِأَسْوَانَ) دَارًا كَالثَّرِيَّا تَرِيدُ أَنْ تَنْقُضَا
 اخْلَعْ النِّعَالَ وَاخْفِضِ الطَّرْفَ وَاخْشَعْ لَا تَحَاوِلْ مِنْ آيَةِ الدَّهْرِ غَضًّا
 قِفْ بِتِلْكَ (الْقُصُورِ) فِي الْيَمِّ غَرَقَى نَمْسِكَا بَعْضُهَا مِنَ الدُّعْرِ بَعْضًا
 كَعَذَارَى أَخْفَيْنَ فِي الْمَاءِ بَضًّا سَابِحَاتٍ بِهِ وَأَبْدَيْنَ بَضًّا
 مُشْرِفَاتٍ عَلَى الزَّوَالِ وَكَانَتْ مُشْرِفَاتٍ عَلَى الْكَوَاكِبِ نَهْضًا
 شَابَ مِنْ حَوْلِهَا الزَّمَانُ وَشَابَتْ وَشَبَابُ الْفَنُونِ مَا زَالَ غَضًّا
 صَنَعَتْ تَدْهِشَ الْعُقُولَ وَفَنٌّ كَانَ إِتْقَانُهُ عَلَى الْقَوْمِ فَرَضًا
 يَا قُصُورًا نَظَرْتَهَا وَهِيَ تَقْضِي^(٢) فَسَكَبْتَ الدَّمْعَ وَالْحَقُّ يُقْضَى

(١) يشير إلى الكلمة التي قالها نابليون لجنوده قبل معركة الأهرام سنة ١٧٩٨ يستحهم على القتال :
 « إن أربعين قرنا تنظر إليكم من فوق قم هذه الأهرام » .
 (٢) تقضى : أى تنفى .

أَنْتِ سَطْرٌ وَمَجْدُ مِصْرَ كِتَابٌ كَيْفَ سَامَ الْبِلَى كِتَابُكَ قَضَا
وَأَنَا الْمُحْتَفَى بِتَارِيخِ مِصْرَ مَنْ يَضُنْ مَجْدَ قَوْمِهِ صَانَ عِرْضًا

وقال في يناير سنة ١٩٢٣ بعد اكتشاف كنوز توت عنخ آمون يذكر عظمة
مصر الخالدة :

قفي يا أخت (يوشع^(١)) خبرينا أحاديث القرون الغابرين
فمثلك من روى الأخبار طرا ومن نسب القبائل أجمعينا
إلى أن قال يشيد بحضارة قدماء المصريين وكيف بلغوا الشأو العظيم من المجد :
مشت بمنارهم في الأرض (روما) ومن أنوارهم قبست (أثينا)
ملوك الدهر بالوادي أقاموا على (وادي الملوك) مُحَجِّبِينَا
تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارة مُنْطَقِينَا ؟
غَدُوا يَبْنُونَ مَا يَبْقَى وَرَاحُوا وراءَ الآبَدَاتِ مُخَلِّدِينَا
إذا عَمَدُوا لِمَأْتَرَةٍ أَعْدُوا لها الإِتْقَانَ وَالْخُلُقَ الْمُتِينَا
وليس الخلدُ مرتبةً تَلَقَّى وتُؤْخَذُ من شَفَاهِ الْجَاهِلِينَا
ولكن مُنْتَهَى هِمِّ كِبَارٍ إذا ذَهَبَتْ مَصَادِرُهَا بَقِينَا
وسرُّ العبقريَّةِ حينَ يَسْرَى فينْتَظِمُ الصَّنَائِعُ وَالْقَنُونَا
وَأَثَارُ الرِّجَالِ إِذَا تَنَاهَتْ إلى التَّارِيخِ خَيْرَ الْحَاكِمِينَا
وأخذك من فم الدنيا ثناء وتركت في مسامعها طنيننا

وقال مخاطبا توت عنخ آمون :

سلامٌ يومَ وارتك المنايا بوادِهَا وَيَوْمَ ظَهَرَتْ فِينَا
خَرَجْتَ مِنَ الْقُبُورِ خُرُوجَ عِيسَى عَلَيْكَ جَلَالَةٌ فِي الْعَالَمِينَا

ومن قصيدة أخرى له عن توت عنخ آمون وقد تخيله قد بعث بعد أربعين قرنا ورأى
الاحتلال جاثما على صدر البلاد فحزن لما رآه وآثر العودة إلى قبره ، والقصيدة من أروع
ما جادت به قريحة شوقي في الإشادة بأجداد مصر وفي المعاني الوطنية ، قال في مطلعها مخاطبا
توت عنخ آمون :

قُمْ سَابِقَ (السَّاعَةِ) وَاسْبِقْ وَعَدَّهَا الْأَرْضُ ضَاقتْ عَنْكَ فَاصدَعْ غَمَّهَا
وَامْلَأْ رِمَاحَ غَوْرَها وَنَجِّدْهَا وافتحْ أَصُولَ النِّيلِ واسترِدَّها
شَلَّالَهَا وَعَذِّبْها وَعِذِّدْها^(١) واصرفْ إِلَيْنَا جَزْرَها ومدها
إلى أن قال :

سَافَرَ أَرْبَعِينَ قَرْنًا عَدَّها حَتَّى أَتَى الدَّارَ فَأَلْقَى عِنْدَها
انْجَلَّتْ رَا وَجِيشُها وَلَوْرَدَها مَسْئُولَةَ الْهِنْدِيِّ تَحْمِي (هِنْدَها)^(٢)
قَامَتْ عَلَى (السُّودَانِ) تَبْنِي سَدَّها وَرَكَزَتْ دُونَ (الْفَنَاءِ) بَنَدَها^(٣)

فَقَالَ وَالْحَسْرَةَ مَا أَشَدَّها لَيْتَ جِدَارِ الْقَبْرِ مَا تَدَّهَدَّها^(٤)
وَلَيْتَ عَيْنِي لَمْ تَفَارِقْ رَقْدَها قُمْ تَبْنِي يَا (بَنْتُور)^(٥) مَا دَها

مِصْرُ الْفَتَاةُ بَلَّغَتْ أَشَدَّها وَأَثَبَتْ الدَّمُ الزَّكِيُّ رُشَدَها
وَلَعَبَتْ عَلَى الْحِجَالِ وَحَدَّها وَجَرَّبَتْ إِرْخَاءَها وَشَدَّها

يَا رَبُّ قَوِّ يَدَها وَشَدَّها وافتحْ لَهَا الشُّبْلَ وَلَا تَسَدَّها
وَقِسْ لِكُلِّ خُطْوَةٍ مَا بَعْدَها وَعَنْ صَغِيرَاتِ الْأُمُورِ حُدَّها
وَاصرفْ إِلَى جَدِّ الشُّؤْنِ جَدَّها وَلَا تَضَعْ عَلَى الضَّحَايَا جَهْدَها

(١) العد : الماء الجاري .
(٢) الهندي : السيف ، ومنها أي الهند .
(٣) البند : العلم .
(٤) تدهده : اقتض .
(٥) بنتور : شاعر مصري قديم .

واكبح هوى الأنفس واكسر حقدها واجمع على الأمم الرووم ولدها

وادی الملوك

وقال سنة ١٩٢٥ في هذا المعنى يذكر توت عنخ آمون وحضارة عصره بعد أن اكتشفت كنوزها في (وادی الملوك) :

درجت على (الكنز) القرون وأنت على الدن^(١) السنون
يا ابن الثواقب من (رع) وابن الزواهر من (أمون^(٢))
نسب عريق في الضحى بد القبائل والبطون
أرأيت كيف يؤوب من غمر القضاء المغرقون
وتدول آثار القرون على رحي الزمن الطحون
حب الخلود بنى لكم خلقة به تنفردون
لم يأخذ المتقدمون به ولا المتأخرون
حتى تسابقتم إلى الإحسان فيما تعملون
لم تتركوه في الجليل ولا الحقير من الشؤون
هذا القيام فقل لنا اليوم الأخير متى يكون ؟
البعث غاية زائل فان وأنتم خالدون
السبق من عاداتكم أترى القيامة تسبقون ؟
أتم أساطين الحضارة والبناء المحسنون
المتقنون وإمنا يجزى الخلود المتقنون

يتغنى بالنيل

نظم هذه القصيدة الرائعة يتغنى فيها بالنيل ، فصور الحياة للوادی وأهله ، وأبدع في وصف
روعته وجماله وجلاله ، ثم انتقل إلى قدماء المصريين ومفاخرهم ، وهي القصيدة التي تغنيها
أم كلثوم فتزيدها بهاء وجمالا :

(٢) رع وأمون من آلهة مصر القديمة .

(١) الدن : باطية الحر .

من أى عهد فى القرى تتدقق
ومن السماء نزلت أم فُجرت من
وبأى عين أم بآية مُزنة
وبأى نول أنت ناسج بُردة
تسود ديباجاً إذا فارقها
أت الدهورُ عليك مهدك مترع
تسقى وتطعم لا إناؤك ضائق
والماء تسكبه فيُسبّك عسجداً
تُعبي منابك العقول ويستوى
إلى أن قال :

دين الأوائل فيك دين مرؤة
لو أن مخلوقاً يؤله لم تكن
جلوا الهوى لك والوقار عبادة
دانوا ببحر بالمكارم زاخر
متقيد بهوده ووعوده
يتقبل الوادى الحياة كريمة
لم لا يؤله من يقوت ويرزق
لسواك مرتبة الألوهة تخلق
إن العبادة خشية وتعلق
عذب الشارع مدّه لا يلحق
يجرى على سنن الوفاء ويصدق
من راحتك عميمة تتدقق

إلى أن قال يصف مهرجان وفاء النيل عند قدماء المصريين وكيف كانت «عروس النيل»
تقدم قرباناً له كل عام :

والمجد عند الغانيات رغبة
إن زواجوك بهنّ فى عقيدة
ما أجل الإيمان لولا ضلة
يبنى كما يبنى الجمال ويُعشق
ومن العقائد ما يلبّ ويحمق^(١)
فى كل دين بالهداية تلتصق

(٢) الشرق : الفرق .

(٤) يلب ، أى يصير لبيبا .

(١) الديباج والإستبرق : ثوب الحرير .

(٣) ينفق ينفى أو يقل .

رُفَّتْ إِلَى مَلِكِ الْمَلُوكِ يَحْتُمُهَا
وَلَرَبَّمَا حَسَدْتُ عَلَيْكَ مَكَانَهَا
مَجْلُوءٌ فِي الْفَلَكَ يَحْدُو فُلُكَهَا
فِي مَهْرَجَانٍ هَزَّتِ الدُّنْيَا بِهِ
فِرْعَوْنُ تَحْتَ لَوَائِهِ وَبَنَاتُهُ
حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَوَاقِبَهَا الْمَدَى
وَكَسَا سَمَاءُ الْمَهْرَجَانِ جَلَالَهُ
وَتَلَقَّتْ فِي أَلِيمٍ كُلِّ سَفِينَةٍ
أَلَقْتُ إِلَيْكَ بِنَفْسِهَا وَنَفْسِهَا
خَلَعْتُ عَلَيْكَ حَيَاءَهَا وَحَيَاتَهَا
وَإِذَا تَنَاهَى الْحُبُّ وَاتَّفَقَ الْفِدَى
دِينَ وَيَدْفَعُهَا هَوًى وَتَشَوُّقُ
تَرْبُ تَمَسَّحُ بِالْعُرُوسِ وَتُحْدِقُ^(١)
بِالشَّاطِئِينَ مُزْغَرَدٌ وَمُصَفِّقُ
أَعْطَافَهَا وَاحْتَالَ فِيهِ الْمَشْرِقُ
يَجْرَى بِهِنَّ عَلَى السَّفِينِ الزُّورِقُ
وَجَرَى لَغَايَتِهِ الْقَضَاءُ الْأَسْبَقُ
سَيْفُ الْمَنِيَّةِ وَهُوَ صَلَتْ يَبْرُقُ
وَأَنَالَ بِالوَادِي الْجَمُوعُ وَحَدَّقُوا
وَأَتَتْكَ شَيْقَةَ حَوَاهَا شَيْقُ
أَعَزُّ مِنْ هَذِينَ شَيْءٌ يُنْفَقُ؟
فَالرُّوحُ فِي بَابِ الضَّحِيَّةِ أَلْيَقُ

إِلَى أَنْ قَالَ يَذْكُرُ النِّيلَ وَأَنَّهُ مَصْدَرُ الْحَيَاةِ وَالْحَضَارَةِ لِمِصْرَ وَالْوَادِي :

أَصْلُ الْحَضَارَةِ فِي صَعِيدِكَ ثَابِتٌ
وُلِدْتُ فَكُنْتُ الْمَهْدَ ثُمَّ تَرَعَرَعْتُ
مَلَأْتُ دِيَارَكَ حِكْمَةً مَأْثُورُهَا
وَبَنَتْ بِيوتَ الْعِلْمِ بِأَذْخَةِ الدُّرَى
وَاسْتَحْدَثْتُ دِينًا فَكَانَ فُضَائِلًا
مَهْدَ السَّبِيلِ لِكُلِّ دِينٍ بَعْدَهُ
يَدْعُو إِلَى بَرٍّ وَيَرْفَعُ صَالِحًا
وَقَالَ فِي خَتَامِهَا :

يَا نِيلَ أَنْتَ بَطِيبٌ مَا نَعْتَ (الْهُدَى) وَبِمَذْحَةِ (التَّوْرَةِ) أُحْرَى وَأَخْلَقُ

(١) التَّربُّ مِنَ الْوَلَدِ مَعَ الْإِنْسَانِ . الْجَمْعُ أَتْرَابٌ وَأَكْثَرُ مَا تَسْتَعْمَلُ فِي الْمُؤَنَّثِ . يُقَالُ هَذِهِ تَرْبٌ فَلَا

(٢) مَخْلُوقٌ : مُتَطَيِّبٌ . (٣) مُنْبِقٌ : مُصْطَفٍ .

(٤) يَشْهَقُ مِنْ شَهْقِ الْجَبَلِ ارْتَفَعَ .

وإليك يَهْدِي الحَدَّ خَلَقَ حَارِهُمُ كَنَفَ عَنِّي مَرَا الدَّهْوَرِ مُرْهَقٍ (١)
وعليك تُجَلِّي مِن مَّصُونَاتِ النُّهَى خَوْذَ عَرَائِسِ خَدْرَهِنَّ الْمُهْرَقِ (٢)
الدَّرَّ فِي لَبَّاتِهِنَّ مَنْظَمَ وَالطَّيْبَ فِي حَبْرَاتِهِنَّ مَرْفُوقَ
لِي فِيكَ مَدْحَ لَيْسَ فِيهِ تَكْلَفَ أَمْلَاهُ حَبِّ لَيْسَ فِيهِ تَمَلُّقَ
وَفِي الْحَقِّ أَنَّهُ لَمْ يَوْصَفِ النَّيْلُ فِي عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ وَمَاضِيهِ وَحَاضِرِهِ وَخُلُودِهِ بِأَبْدَعِ مِمَّا
وَصَفَهُ شَوْقِي فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ .

نشيد النيل

ووضع نشيداً جَمِيلاً لِلنَّيْلِ يَتَغَنَّى بِهِ الشَّبَابُ وَالْمَوَاطِنُونَ قَالَ :

النَّيْلُ الْعَذْبُ هُوَ الْكَوْثَرُ وَالْجَنَّةُ شَاطِئُهُ الْأَخْضَرُ
رَيَّانُ الصَّفْحَةِ وَالْمَنْظَرُ مَا أَبْهَى الْخُلْدَ وَمَا أَنْضَرُ

الْبَحْرُ الْفَيَاضُ الْقُدْسُ السَّاقِ النَّاسُ وَمَا غَرَسُوا
وَهُوَ الْمُنَوَالُ لَمَّا لَبَسُوا وَالْمُنْعِمُ بِالْقَطَنِ الْأَنْوَرُ

جَعَلَ الْإِحْسَانَ لَهُ شَرْعاً لَمْ يُخَلِّ الْوَادِي مِنْ مُرْعَى
فَتَرَى زَرْعاً يَتَلَوُّ زَرْعاً وَهَذَا يُجَنِّي وَهَذَا يُبْذَرُ

جَارٍ وَيُرَى لَيْسَ بِجَارٍ لِأَنَاءٍ فِيهِ وَوَقَارٍ
يَنْصَبُّ كَتَلٍ مُنْهَارٍ وَيَضِجُ فَتَحْسَبُهُ يَرْأَزُ

(١) المَرْهَقُ : كَثِيرُ غَشْيَانِ النَّاسِ وَالْأَصْيَافِ .

(٢) الْمُهْرَقُ : الصَّحِيفَةُ .

حَبَشَى اللّون كَجِيرَتِهِ مِنْ مَنبَعِهِ وَبَحِيرَتِهِ
صَبَغَ الشَّطْرَيْنِ بِسَمَرَتِهِ لَوْنًا كَالْمَسْكِ وَكَالْعَنْبَرِ

النشيد الوطني

وفي سنة ١٩٢٠ وضع نشيداً وطنياً أقرته اللجنة التي ألفت في هذا العام لترقية الأغاني
الوطنية قال :

بني مصر مكانكم تهيأ فحيّ مهّدوا للملك هيا
خذوا شمس النهار له حلياً ألم تلك تاج أولكم ملياً

على الأخلاق خطوا الملك وابنوا فليس وراءها للعزّ ركن
أليس لكم بوادي النيل عدنّ وكوثرها الذي يجري شهياً

لنا وطن بأنفسنا نقيه وبالدينا العريضة نفتديه
إذا ما سيلت الأرواح فيه بذلتها كأن لم تعط شيئاً

لنا الهرم الذي صحب الزمانا ومن جدّثانه أخذ الأمانا
ونحن بنو السّنا العالی نمانا أوائل علّموا الأمم الرقيّاً

تطاول عهدهم عزّاً وفخراً فلما آل للتاريخ ذخراً
نشأنا نشأة في المجد أخرى جعلنا الحق مظهرها العليا

جعلنا مصر ملة ذى الجلال وألفنا الصليب مع الهلال
وأقبلنا كصف من عوال يشد السمهرى السمهرى

نقوم على البناية محسنا ونعهد بالتمام إلى بنينا
نموت فذاك مصر كما حيننا ويبقى وجهك المَقْدِي حيا

نشيد الكشافة

نحن الكشافة في الوادي جبريلُ الروحُ لنا حادى
يا رَبِّ بِعِيسَى والمهادى وبموسى خذ بيد الوطن

كشافة مصر وصبيتها ومناة الدار ومنيتها
وجمال الأرض وحليتها وطلائع أفراح المدن

يتندر الخير ونستبق ما يَرْضَى الخالقُ والخلقُ
بالنفس وخالقها تنق ونزيد وثوقا في المحن

في السهل نرف رياحنا ونجوب الصخر شياطينا
نبني الأبدان وتبيننا والهمة في الجسم المرن

ونحلى الخلق وما اعتقدوا ولوجه الخالق نجته
نأسو الجرحى أنى وجدوا ونداوى من جرح الزمن

في الصدق نشأنا والكرم والعفة عن مَسِّ الحَرَمِ
ورعاية طفل أو هرَمِ والذود عن الغيد الحصن

ونوافى الصارخ في اللجج والنار الساطعة الوهج

لا نسأله ثمن المهبج وكفى بالواجب من ثمن

ربُّ فكَثَّرْنَا عِدداً وابذل لأبوتنا المـددا
هيء لهم ولنا رشداً يا ربَّ وخذ بيد الوطن

نشيد الشباب

اليومَ نسود بأيدينا ونعيدُ محاسنَ ماضينا
ونشيدُ العزَّ بأيدينا وطنَ نقديه ويفدينا

وطنٌ بالحق نؤيدُ وبعين الله نشيده
ونُحسُّهُ ونُزيِّنه بما آثرنا ومساعينا

سِرُّ التاريخ وعنصره وسريرُ الدهر ومنبره
وجنان الخلد وكوثره وكفى الآباء رياحينا

نتخذ الشمس له تاجاً وضحاها عرشاً وهاجاً
وسماء السُّودد أبراجاً وكذلك كان أوالينا

القصرُ يراكم والأمُّ والكرنكُ يلحظُ والهرمُ
ابنى الأوطان ألا همَّ كبناء الأول يبيننا

سَعياً أبداً سعياً أبداً لأنثيل المجد وللعليا
ولنجعل مصر هي الدنيا ولنجعل مصر هي الدنيا

وظل شوقي يتغنى بالوطنية ويفرد للمواطنين والناطقين بالضاد جميعاً ألحان الحرية
ويسمعهم أسمى معاني الإنسانية حتى أدركته الوفاة سنة ١٩٣٢ ، وظل شعره بعد وفاته وسيظل
على الدوام رمزاً للحكمة والحرية والخلود .